المنهاج السديد

في

بيان الشرك والبدعة والتوحيد

- التوحيد
- الشرك الأكبر
- الكفر بالطاغوت
- شرك القلوب(المحبة ، الخشية ، الخوف، التوكل ، الرغبة ، الرهبة ، الرجاء)
- العدوى ، والطيرة ، والفأل
- حكم الذهاب للسحرة
- الوقاية من السحر
- الشرك الأصغر في الأفعال
- الشرك الأصغر في الأقوال
- الإخلاص
- البدعة (تعريفها ، أسبابها، ضابطها ، شبهات المبتدعة والردعليها)

تأليف

د . خالد بن مفلح عبدالله آل الحامد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فهذه مجموعة من الكلمات التي تتناول أهم أمور العقيدة ، ففيها بيان للتوحيد ، ومايضاده من الشرك الأكبر أو ينافي كماله من الشرك الأصغر ، ولبيان البدعة ، والرد على شبهات المبتدعة ، وقد تم تناول كل ذلك بأسلوب يتناسب مع صاحب التعليم العالي ، والأمي الذي لايكاد يقرأ أو يكتب ، لكي

يتمكن كل من قرأها أو سمعها من فهم العقيدة الصحيحة ومايضادها . وهي تناسب أن تكون خطبا للجمعة ، وتناسب أن تكون مصدرا لكلمات موجزة ، وتناسب أن تكون مصدرا لمحاضرات مطولة .

وقد أسميته المنهاج السديد في بيان الشرك والبدعة والتوحيد، ومصادر هذه الكلمات كثيرة ، لكنها ارتكزت على المصادر التالية:

- كتاب التوحيد للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.
- معظم شروح كتاب الوحيد لأئمة دعوة التوحيد من بلاد نجد.
- بعض الكتب لشيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه بن القيم رحمهما الله تعالى.
- بعض الكتب للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.
- بعض الكتب للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.
- وحرصا على وحدة الموضوع وترابطه ،فإن بعض الكلمات كانت في الأصل متفرقة ثم جعلتها في موضع واحد حتى يكون الموضوع وحدة مترابطه تحيط بأهم جوانب الموضوع.

وقد جعلت فهرسا في نهاية هذا الكتاب لبيان موضوعاته. وقد قمت بتخريج الآيات القرآنية ، والأحاديث مع ذكر الحكم عليها من كتب التخريج.

وهذه الكلمات هي نتاج سنوات طويلة من البحث والتقصي ، ولم آلو جهدا في تنقيحها ، وتصحيحها بين وقت وآخر حتى أصبحت ثمارا يانعة يمكن قطافها . مع استصحاب القاعدة المعلومة : بأن الأصل في العمل البشري هو النقص ، وعدم الكمال.

أسأل الله العظيم ، أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، إنه سميع قريب مجيب الدعوات ، فهو الذي أعد ، وهو الذي أمد ، وهو الذي له الحمد في الأولى وفي الآخرة سبحانه وتعالى لاأحصي ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

د . خالد بن مفلح عبدالله آل حامد

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

الحمد لله الذي بعث النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كما شهد هو سبحانه وتعالى أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما

بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي ختم به أنبياءه ، وهدى به أولياءه ، ونعته بقوله في القرآن الكريم ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ الآيتان ١٢٨ ١٢٩ ،سورة التوبة ، صلى الله عليه وعلى آله أفضل صلاة وأفضل تسليم

أما بعد

يقول سبحانه وتعالى ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الآيـــة ١٠٩ سورة التوبة

إنهم أناس لم يحصدوا سوى الحسرة والندم، لكل مازرعوا ، كم تعبوا من أجل هذا الزرع ، كم جهدوا فيه ، تركوا شهواتهم ، ولذاتهم ، وأتعبوا أجسادهم ، وأرواحهم ، من أجل هذا الزرع ، ثم تكون الثمار في يوم القيامة حنظلا مرا ، ويكون جزاء هذا الكد والتعب ، النار وبئس القرار ، بعد كلِّ هذا الجَهد ، وبعد كلِّ تلك التضحيات ، وبعد كلِّ تلك المشقة ثم النار ،

بل إن من هؤلاء من ينطق بالشهادتين، ويؤدي الصلاة ، ويصوم رمضان، ويقوم الليل ، ويزكي ، ويحج البيت ، فلم تغن عنه كلُّ تلك الأعمال شيئا .

فالخاسرون يوم القيامة ، أناس كثر ، لكن هؤلاء هم أخسر الناس قاطبة ، كما وصف سبحانه ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلاً ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ **(الكهف ١٠٣-١٠٤)**

فهل تعلم لماذا ؟ إنهم قد ضلوا عن الأساس ، اهتموا بالبناء واجتهدوا فيه ، ولكنهم أسسوا بنائهم على باطل ، أسسوه ، على جرف هار فانهار بهم في جهنم ،

أما البناء فهو هذا الدين ، أما أرضه وأساسه فهو حديثنا لهذا اليوم ، إنه لب الدين ، فإذا ماختل جزء منه ، ذهبت أعمالنا أدراج الرياح ، فنكون –عياذا بالله –كمن وصف لنا الله في كتابه ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الآية ٢٣ الفرقان

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ الآية ٢٣ النور ، وقوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ الآية ١٨ إبراهيم

فيأيها المؤمن ألا تريد ضمانا يضمن لك أنك لست من هؤلاء ؟ ألا تريد أمانا تلقاه أمامك في الحياة الأخرى ؟ ألا تريد يقينا تدخل به الجنة ؟ بلى كلنا يريد ذلك .

إن ذلك كله ، يكون ، بمعرفة الأساس الذي بني عليه هذا الدين ، وفهمه فهما صحيحا ، فهو بمثابة الروح للجسد ، وهو بمثابة الماء لكل شيء حي ، وهو البلسم الذي تصح به جميع الأعمال ، هو حق الله علينا ، بل هو الأمر الذي يتوجب علينا جميعا معرفته ، فلا نعذر بجهله ، ولا يعذر بجهله أحد ، قد بلغته دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهل عرفتموه ؟

إنه التوحيد ، الذي أمر الله به ، وأقام عليه دينه ، وأنزل به كتبه ، وبعث به رسله ، إنه التوحيد ، الذي يكون الإيمان بدونه كفرا ، يكون الإيمان بدونه شركا ، ورجسا ، وزورا ، وإثما مبينا ، إنه التوحيد ، الذي يكون الإيمان بدونه ظلما عظيما ، وضلالا مبينا

إنه التوحيد الذي جعل الله الجنة لأهله وأنصاره ، والنار لخصومه وأعدائه ، إنه التوحيد ، الذي قضى نبينا صلى الله عليه وسلم حياته كلها في الدعوة إليه ، والذود عنه

فما هو التوحيد ؟

انتبه ، إن الشيطان لعنه الله يعلم بأن التوحيد هو أساس هذا الدين ، ولذا فإنه سوف يحشد كل قواه ، في منعي ومنعك ، من معرفة التوحيد وفهمه ، فقد يغض الطرف عن صلاتك ، وعن زكاتك ، وحجك ،

وصيامك ، وأعمال البر كلها ، فلا يلقي لها بالا ، ولكنه يفسد عليك شيئا واحدا ، هو التوحيد ، لأنه يعلم بأنه إذا فسد توحيدك ، فسدت سائر أعمالك ، فأحذركم ونفسي من مكره وكيده .

فأعطني قلبك ، وعقلك وسمعك، فلا تغفل ، ولا تدع الشيطان يغفلك عن سماع هذا الأساس الذي تدور عليه كل أعمالك ، افهمه واحفظه كفاتحة الكتاب .

فإذا سئلت ماهو التوحيد ؟

فقل هو، إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته ، فهذه أقسام ثلاثة ، توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، لابد منها جميعا لتكون موحدا

القسم الأول : توحيد الربوبية

فماهو توحيد الربوبية ؟ هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدبير ، ومن أسماء هذا التوحيد أيضا: (توحيد الله بأفعاله)

فما معنى إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدبير؟

إفراده بالخلق هو بأن نعتقد بأنه لاخالق إلا الله كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ الآية ، ١٠٢ الأنعام ،

وقوله تعالى: ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣ ﴾ الآية ،٣ فاطر

أما إفراده بالملك فبأن نعتقد بأنه لايملك الخلق إلا الله كما ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ ﴾ من الآية ٨٨ المؤمنون

وأما إفراده بالتدبير فبأن نعتقد بأنه لامدبر إلا الله وحده كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا

وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الآيــة ٥٤ الأعــراف ، وقولــه تعــالى : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ الآية ٣١ يونس

فهذا التوحيد–توحيد الربوبية– يقر به الناس جميعا في كل زمان ، وفي كل مكان ، وإن وجد من ينكر وجود الخالق ، فهي مجرد دعوى باللسان ، ولكن من يدعي ذلك ، يعلم في قرارة نفسه يقينا بأن الخالق المالك المصرف لهذا الكون هو الله ، والدليل على ذلك :

قولــه تعــالى: ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الآية ٣٣ الأنعام

وقولــه تعــالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ الآيتان ١٣،١٤ النمل

فهذا التوحيد –الذي هو توحيد الربوبية– قد أقر به الكفار على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدل على ذلك آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ ٣١ يــونس ، وقولــه تعــالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ الآية ٩ الزخرف ، وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ ٨٤–٨٧ المؤمنون

ورغم اعترافهم بتوحيد الربوبية ، فإن ذلك لم يدخلهم في الإسلام ، وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستباح دماءهم ، وأموالهم .

القسم الثاني : توحيد الألوهية

فما هو توحيد الألوهية ؟ : هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحدا يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعلى ويتقرب إليه ، ومن أسماء هذا التوحيد أيضا :(توحيد العبادة) (توحيد الله بأفعال العباد)

وليست العبادة مقصورة على الصلاة أو الصوم أو الحج ، كلا ، بل هي شاملة لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال ، والأعمال ، الظاهرة والباطنة ، ، كالدعاء

والاستعانة، والاستغاثة ، والحلف والصلاة والحج والطواف، والذبح ، والنذر ،والمحبة ، والخوف والرجاء ، والتوكل والإنابة ، والرغبة ، والرهبة ، والتعظيم ، إلى غير ذلك من أنواع العبادة ، فصرف أي شيء من أنواع العبادة لغير الله شرك أكبر مخرج عن الملة.

فهذا التوحيد– وهو توحيد الألوهية –هو الذي جحده الخلق ، ووقع فيه النزاع بين الرسل وأقوامهم ، فمن أجل هذا التوحيد أرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، فهو أول الدين وآخره وهو معنى لاإله إلا الله ، أي لامعبود بحق إلا الله ، فهذه الكلمة يفيد جزءها الأول – لاإله– النفي لجميع مايعبد من دون الله ، ويفيد جزئها الثاني –إلا الله–إثبات العبادة كلها لله ، ولذا يذكر الله لنا قول المشركين الأوائل كما في قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ (الآية ٥ ص ، وقوله: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧٠ ﴾ الآية ٧٠ الأعراف ، وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦ ﴾ الآيتان ٣٥،٣٦ الصافات

فخلاصة هذا التوحيد هو أن تفرد الله وحده بجميع أنواع العبادة ، وهي شاملة لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات

فما هو توحيد الأسماء والصفات؟

هو إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى الله به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بأن يسمى الله ويوصف بما سمي ووصف به نفسه على وجه الحقيقة ، لا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ،بل يجب أن نعتقد أن الله منفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه .

كيف يكون هذا ؟

مثال ذلك :

أن الله سبحانه وتعالى سمى نفسه بالحي القيوم ، فيجب علينا أن نؤمن بأن الحي اسم من أسماء الله تعالى ، ويجب علينا أن نؤمن بما تضمنه هذا الاسم من وصف وهي الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء.

وسمى الله نفسه بالسميع فعلينا أن نؤمن بالسميع اسما من أسماء الله سبحانه وتعالى ، وبالسمع صفة من صفاته ، وبأنه يسمع وهو الحكم الذي اقتضاه ذلك .

مثال آخر : لقد قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ من الآية ٦٤ المائدة، ، فهنا قال الله تعالى: بل يداه مبسوطتان ، فأثبت لنفسه يدين موصوفتين بالبسط وهو العطاء الواسع ، فيجب علينا أن نؤمن بأن لله تعالى يدين اثنتين مبسوطتين بالعطاء والنعم ، ولكن يجب علينا أن لا نحاول بعقولنا تصورا ، ولا بألسنتنا نطقا ، أن نكيف تلك اليدين ، ولا أن نمثلهما بأيدي المخلوقين ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ من الآية ١١ الشورى ، ويقول الله تعالى:

﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الآية ٣٣ الأعراف

ويقول عز وجل: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ الآية ٣٦ الإسراء .

فمن مثل هاتين اليدين بأيدي المخلوقين فقد كذب الله تعالى في قوله ﴿ ۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ وقد عصى الله تعالى في قوله: ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ من الآية ٧٤ النحل،

ومن كيفهما وقال هما على كيفية معينة أيا كانت هذه الكيفية فقد قال على الله ما لا يعلم وقفى ما ليس له به علم.

ومن نفى صفة اليدين على وجه الحقيقة ، فقد نفى أمرا قد أثبته الله لنفسه وكذب الله في وصفه لنفسه .

والاتفاق بين الخالق والمخلوق في المسميات لايلزم منه التشابه عند الإضافة والتخصيص ، أولسنا نقول بأن فلان عالم ، لكن فلانا أعلم منه ، والله أعلم من كل عالم ، فالمخلوق يوصف بأنه عالم ، والخالق يوصف بأنه عالم ، ولكن هل علم المخلوق كعلم الله ؟

والمخلوق يوصف بأنه كريم ، ويقال فلان أكرم الناس ، ولكن الله أكرم الأكرمين ، فهل كرم المخلوق مثل كرم الخالق ؟ كذلك يجب أن يقال في كل صفة لله يتصف بها المخلوق .

فصفات المخلوق تليق به كمخلوق ، وصفات الخالق تليق به كخالق.

فالله كما قال عن نفسه ﴿ ۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ لا في ذاته، ولا في أسمائه ، لافي صفاته

فمن شبه الله بخلقه فقد كفر لأن ذلك يوجب النقص في حق الله وهو منزه عنه. ومن جعل له مماثلا فقد كفر لأنه تكذيب لقوله تعالى﴿ ۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ .

ومن: ١– نفى عنه شيئا قد أثبته لنفسه. ٢–أو حرفه. ٣–أو أوَّلَه. ، فهو مكذب لله سبحانه.

وخلاصة الكلام في هذا النوع من التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات أنه يجب علينا أن نثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات على وجه الحقيقة من غير تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف.

وهاهنا قاعدتان في الأسماء والصفات احفظهما كفاتحة الكتاب:

القاعدة الأولى :

آية في كتاب الله هي قوله تعالى ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ من الآية ١١ الشورى ، ففي الجزء الأول من الآية ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ نفى سبحانه وتعالى عن نفسه أن يكون مماثلا لشيء من خلقه ، والجزء الثاني من الآية ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ فيه إثبات لاسمين من أسماء الله تعال ، وذلك يتضمن إثبات صفة السمع والبصر لله

فالجزء الأول من الآية ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ يُرَدُّ به على كل من شبه الله أو مثله بخلقه ، والجزء الآخر من الآية ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ يُرَدُّ به على من نفى صفة من صفاته التي أثبتها لنفسه ، وأنه لايلزم من إثبات الصفات لله التشبيه بخلقه لأنه ليس كمثله شيء .

القاعدة الثانية في الأسماء والصفات :

هي ماقاله الإمام مالك رحمه الله تعالى عندما جاءه من يسئل عن صفة الاستواء ، فقال له ما معنى استوى ، فما لبث أن قال / الاستواء معلوم(أي معناه في اللغة) ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه (أي عن الكيف)بدعة ، ولا أراك إلا مبتدعا وأمر بإخراجه من المسجد ،

هذه القاعدة تطبق على بقية الصفات ، فتقول السمع معلوم ، والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب ، وكذلك ، الغضب (معناه معلوم) والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب) وهكذا في سائر الأسماء والصفات الثابتة له في الكتاب والسنة الصحيحة، من غير تحريف ولا تأويل ولا تعطيل.

أيها الأخ الموحد تذكر هذه الأنواع الثلاثة دوما وهي:

١- أفراد الله في الخلق والملك والتدبير .

٢- وإفراد الله بجميع أنواع العبادة.

٣- وإفراد الله بجميع أسمائه وصفاته: بأن نثبت له ما أثبته لنفسه ، وبما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف . وإذا أشكل عليك شيء من ذلك فاسأل ، لأنه لاعذر لأحد بجهلها .

فمن أتقن هذه الأنواع الثلاثة من أنواع التوحيد ، وحفظها ، واستقام على معناها علم بأن الله هو الواحد ، وأنه المستحق للعبادة دون جميع خلقه ، ومن ضيع واحدا منها فقد أضاع الجميع ، فهي متلازمة ، لا إسلام إلا بها جميعا ، فمن زعم أن مع الله مصرفا للكون فهو كافر مشرك في الربوبية ، ومن صرف شيئا– أي شيء – من العبادة لغير الله من الأنبياء أو الملائكة ، أو المشائخ ، أو الأولياء فهو مشرك بالله ، ومن أقر بتوحيد الربوبية ، وبتوحيد الألوهية ، وأنكر صفات الله وأسماءه فلا دين له .

بسم الله الرحمن الرحيم

الشرك الأكبر

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، و الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، الأول الآخر الظاهر الباطن الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ، أرسله بالحق بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

أما بعد

أيها الأخ المسلم

ماهو الموقف الذي سوف تقفه ؟ لو أخبرتك بأن قرية في إحدى دول الإسلام ، تفعل منكرا عظيما، ألا وهو نكاح المحارم ، ففي تلك القرية الابن ينكح أمه ، وينكح أخته ، والأب ينكح ابنته ، وهم حين يفعلون ذلك ، لايسرون به ، بل عيانا بيانا ، أمام الله ، وأمام خلقه ، ماهو شعورك وأنت تسمع هذا الكلام ؟ ألا يقشعر منه جلدك ؟ بلى والله إنه أمر تقشعر منه الأبدان ، فهو مصادم للفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وسوف تقوم الدنيا، ولن تقعد ، من أجل هذا الحدث الخطير، وكل مسلم في قلبه ذرة من الإيمان لن يرضى بهذا ، ولن يسكت أحد من المسلمين على هذا المنكر العظيم

فإن كان أهل هذه القرية جاهلين بالحكم الشرعي ، فإنهم سوف يُعَلَّمُون وُيمنَعون من ذلك ، وإن كانوا على علم بالحكم الشرعي ،فإنهم يكونون كفارا خارجين عن الملة ، لاستحلالهم ماحرم الله ، فيقاتلون حتى يرجعوا لدينهم أو يُقتَلون، هذا هو الموقف ، الذي لا أشك بأن أحدا منكم سوف يقف موقفا غيره ، وهو الموقف المتوقع من كل مسلم ، وهذا من الغيرة على محارم الله أن تنتهك .

إذا كان الأمر كذلك ، فاعلم أيها الأخ المسلم ، بأن هناك أمرا أشدُّ خطورة ، وأعظمُ جرما من مجرد نكاح المحارم ، يقع في كثير من ديار الإسلام ، فلا يحرك ساكنا لدى كثير من المسلمين ،فلا تجد غيرة ، ولا غضبا ، ولا كراهة ، ولا نكارة ، إنه الجناية على حق الله الخالص بل، إنه أعظم الجنايات، إنه الظلم العظيم ،فهو أعظم ذنب عصي الله به ، فإنه مع سعة رحمته التي وسعت كل شيء فإنها لا تسع من يرتكب هذا الذنب ، فهل عرفتموه ؟ نعم ، إنه الشرك .

، سؤال أتوجه به إليك الآن : هل شعورك الآن عند سماع هذه الكلمة– شرك – مثل شعورك عند سماع النكاح بين المحارم ؟ فإذا كان الشعور واحدا في الحالتين ، فتلك مصيبة ، وإن كان شعورك تجاه الفاحشة بين المحارم أشد تحركا ، وإثارة ، واشمئزازا ، من سماع كلمة الشرك فالمصيبة أعظم .

إنه الخلل الخطير في العقيدة ، أن تشمئز نفوسنا ، وتقشعر أبداننا ، من كل تلك الفواحش ، ثم لا تشمئز نفوسنا ولا تقشعر أبداننا ونحن نرى أعظم خطيئة ، وأعظم ذنب عصي الله به ، يمارسه كثير من المسلمين في كثير من بلاد الإسلام، من قبل الملايين من المسلمين من خلال عبادة القبور، وتقديس الأولياء المزعومين ،

فأي قلب يستطيع أن يستقر بين جنبي صاحبه ساعة واحدة ، فلا يطير جزعا حينما يرى المسلمين أصحاب دين التوحيد أكثرَ من المشركين شركا بالله، وأوسعهم دائرة في تعدد الآلهة،وكثرة المعبودات.
إنه الانحراف الخطير في العقيدة ، والعود غير الحميد للوثنية ،حين ترى الملايين منهم يشركون بالله الشرك الأكبر ، ثم لايجدون نكيرا ، ولا معلما، ولا موجها.
وتزداد حسرة وألما عندما ترى سكوت هؤلاء العلماء في تلك البلدان عن إنكار هذا الشرك الأكبر ، وتتساءل لم هذا السكوت ؟ لم هذا الصمت المطبق على هذا الأمر الخطير ؟
فيا أمة الإسلام ، أي رزء للإسلام أشد من الكفر ؟ وأي بلاء لهذا الدين أضرُّ عليه من عبادة غير الله ؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل تلك المصيبة ؟ وأي منكر يجب إنكاره ؟ إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبا .

إنه التشبيه للمخلوق بالخالق تعالى وتقدس ، فجعل هذا المشرك ، من لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، جعله ، ندا ومثيلا ونظيرا وشبيها ، بجبار السموات والأرض ، القوي القهار ، العزيز الجبار ، من له العز كله ، والجبروت كله ، والعظمة والقهر، جعله مكافئا وندا ، لمن له الحمد كله ، والخلق كله والملك كله ، سوَّاه بالذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ، الذي لامانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، الذي إذا فتح للناس رحمة فلاممسك لها ، وما أمسك فلا مرسل له من بعده تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، سبحانه ما أعظم شأنه .
ألا إن ذنبا هذا شأنه وهذا خطره حري بكل واحد منا أن يحذر منه أشد الحذر ، فلا أحدَ يأمن على نفسه من الوقوع في هذا الذنب العظيم ، ألم يخافه الذي كان أمة قانتا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؟ فدعا ربه قائلا ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ من الآية ٣٥ إبراهيم ، وقد بين سبب هذا الخوف فقال ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ ﴾ من الآية ٣٦ إبراهيم ، وهذا هو الواقع في كل زمان ،فها أنت ترى كثيرا من الناس ، قد استبدلوا عبادة الأصنام ، بعبادة الأنبياء والأولياء والملائكة.

وهاأنت ترى القبورا قد صارت أعيادا ، فشيدوها وزخرفوها ، وبنوا عليها المساجد والقباب ، وأوقدوا عليها السرج والقناديل ، فوقفوا لذلك الوقوف ، ونذروا لها النذور ، وطافوا بها كالكعبة ، واستلموها كالحجر الأسود ، وأوسعوا جدرانها لثما وتقبيلا ، بل إن منهم من يسجد لها ، ويعفر الخدود على ترابها ، وهناك من يقف أمامها خاشعا مستكينا ، يستغيث بأصحابها ، فيسألونهم مشافهة ، قضاء الديون ، وتفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، وشفاء المرضى ، والنصر على الأعداء ، بل إن بعضهم يقدم طلباته مكتوبة في رقاع إلى صاحب القبر، فلم يدعوا شيئا فعله أصحاب الأصنام مع أصنامهم إلا فعلوه

ثم يقولون ليس هذا بشرك ، فماهو الشرك إذا؟

الأمر خطير جدا ، أن يقع أحدنا في الشرك وهو لايعلم أن هذا شرك ، كيف ؟ كيف يقع أحدنا في أعظم ذنب عصي الله به وهو لايعرفه ؟.

أيها الأخ المسلم إنه يجب على كل واحد منا معرفة الشرك كبيره وصغيره ، جليه وخفيه ، لنحذر منه ولنحذر الناس منه .

وعلى هذا فلايزال السؤال مطروحا ، ماهو الشرك ؟

الشرك،هو : صرف شيء من العبادة لغير الله ، أي نوع من أنواع العبادة قولية كانت أم فعلية أم قلبية ،بدنية أم مالية ، والعبادة هي كل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

والشرك قسمان: شرك أكبر وشرك أصغر :

أما الشرك الأصغر فسيأتي الحديث عنه قريبا،

وأما الشرك الأكبر فهو شرك مخرج عن الملة ، صاحبه مخلد في النار أبد الأباد، فلا تنفعه شفاعة ، ولا تسعهرحمة الله التي وسعت كل شيء ، ولا ينتفع بأي عمل صالح يعمله في هذه الدنيا ومن الأدلة على ذلك :

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ الآية ٤٨ النساء

وقولـــه : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ من الآية ٧٢ المائدة

وقوله﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ من الآية ٨٨ الأنعام

وقولـــــــــه : ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الآية ٦٥ الزمر

فماهو الشرك الأكبر ؟

هو باختصار شديد أن تجعل لله ندا _ أي نظيرا أو مثيلا أو مساويا لله – في : ١– نوع من أنواع العبادة الظاهرة أو الباطنة ٢–أو في أسمائه وصفاته ٣–أو في التشريع ، ومن الأدلة على ذلك :

قوله تعالى: ﴿ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الآيـــات ٩٤–١٠٢ الشعراء ، وهم لم يساووهم بالله في الخلق ولا في الرزق لأنهم يقرون بأن الله هو الخالق والرازق كما ذكرت لكم في خطبة سابقة ، ولكنهم سووا بينه وبين غيره في العبادة بأنواعها كالدعاء والنذر والذبح .

وقولـــه ســـبحانه:﴿ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾ الآية ٩ فصلت .

وقوله سبحانه: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ من الآية ٢٢ البقرة

وقوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ من الآية ٣٠ إبراهيم، قال ابن كثير في تفسيره ج٢/ص٥٤٠ :" أي جعلوا له شركاء عبدوهم معه ودعوا الناس إلى ذلك"

وقال تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ الآيات ١٦٥-١٦٧ البقرة .

وفي صحيح البخاري قوله عليه الصلاة والسلام (من مات وهو يدعومن دون لله ندا دخل النار) [1]

فهذه ثلاثة أمور تكون شركا أكبر: ١- إذا جعل مع الله ندا في أسمائه وصفاته٢- أو في العبادة ٣-أو في التشريع ،

ما معنى ذلك ؟ إليك تلك الأقسام الثلاثة بشيء من التفصيل :

القسم الأول: أن يجعل الشخص لله ندا في الأسماء والصفات ، بأن يسمي غير الله بما يختص به الله من الأسماء والصفات ، وقد قال سبحانه :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الآية ١٨٠ الأعراف ، فيسمي غير الله بأسماء الله وصفاته ، ومن الإلحاد في أسمائه تسمية غيره باسمه المختص به أو وصفه بصفته كذلك ، كأن تقول فلان ، هو الإله ، أو الله ، أو الخالق ، أو أنه الرازق ، أو أنه الرحمن ، أو عالم الغيب ، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات التي يختص بها سبحانه .

[1] – من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، صحيح البخاري ج٤/ص/١٦٣٦/ح ٤٢٢٧/ باب قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله يعني أضدادا واحدها ند

القسم الثاني: من أقسام الشرك الأكبر أن يجعل الشخص لله ندا في التشريع ، بأن يتخذ مشرعا سوى الله أو شريكا لله في التشريع *يرتضي حكمه ، ويطيعه فيه ، فيحل له الحرام ويحرم عليه الحلال ، فيتبعه على ذلك عبادة وتقربا ، وقضاء وفصلا في الخصومات ، أو يستحله وإن لم يره دينا* ، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

قوله سبحانه : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ الآية ٣١ التوبة ، فقد سمى الله طاعتهم لأحبارهم ورهبانهم عبادة لهم ، وسماهم أربابا ، أي شركاء لله تعالى في العبادة.

وعندما تليت الآية السابقة على عدي بن حاتم رضي الله عنه –وكان نصرانيا في الجاهلية –قال يارسول الله ماكانوا يعبدونهم قال بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم [1] ، فكل من أطاع مخلوقا واتبعه على غير ماشرعه الله ورسوله ، فقد اتخذه ربا معبودا ، وإن لم يسمه بذلك

وكما قال سبحانه في آية أخرى ﴿ وَإِنَّ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ من الآية ١٢١ الأنعام

وقوله سبحانه : ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ من الآية ٢١ الشورى

---

[1] –سنن البيهقي الكبرى ج١٠/ص١١٦/ ح ٢٠١٣٧، والطبراني في المعجم الكبير ج١٧/ص٩٢/ ح٢١٨، قال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ج٢/ص٦٦ :"رواه الترمذي ..وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام ابن حرب و عطيف بن أعين ليس بمعروف ، ورواه الثعلبي بهذا الإسناد ، وكذلك رواه الواقدي في كتاب الردة ، رواه ابن سعد في الطبقات في ترجمة عدي بن حاتم بسنده ومتنه ، ورواه أبو يعلي الموصلي في مسنده ، ورواه الطبراني في معجمه ، وابن أبي شيبة في مسنده والطبري في تفسيره بلفظ الترمذي ، ورواه البيهقي في كتاب المدخل بسند الترمذي ومتنه فزاد فيه فتلك عبادتهم ، ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث عمران القطان بلفظ المصنف " أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم "

القسم الثالث : أن يجعل له ندا في العبادة – بصرف نوع منها ، كعبادة الدعاء ، والذبح ، والنذر والصلاة والصيام والسجود ، **وهذا القسم هو أهم الأقسام** وهو الذي يقع فيه أكثر الناس قديما وحديثا

والعبادات التي يصرفها المشركون لغير الله كثيرة ، ولكن من أكثرها انتشارا في قديم الزمان وحديثه ، عبادة الدعاء ، بل إن هذا هو أصل الشرك في العالم كله ،لأن الكثير من الناس يعتقد أن العبادة مخصوصة بالصلاة وغيرها من أركان الأسلام . بل إن صرف هذه العبادة لغير الله يلزم منها صرف عبادات أخرى كالخوف والرجاء والمحبة والرغبة ، فهو لايدعو شخصا إلا إذا كان يخاف منه أو يرجو منه أو يحبه أو يتوكل عليه ، في تحقيق مطلوبه ، ولذا كان هو أصل الشرك في العالم ، وقد دل الكتاب والسنة على أن الدعاء عبادة ، وعلى أن من يصرف هذه العبادة لغير الله فقد أشرك شركا أكبر مخرجا عن الملة، وقد جاء ذلك كله في كتاب الله بوضوح لالبس فيه

بل إن أكثر ماجاء في القرآن عن المشركين وأصنامهم إنما يشير إلى عبادة الدعاء ،

أما الدليل من الكتاب على أن دعاء الغير عبادة فقد جاء ذلك في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الآية ٦٠ غافر ، فلم يقل يستكبرون عند دعائي بل قال عن عبادتي فسمى الدعاء عبادة.

وقوله سبحانه :﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الآيتان ٥، ٦ الأحقاف ، فقال بعبادتهم ولم يقل بدعائهم ، فسمى دعائهم لغير الله عبادة .

وقوله سبحانه : ﴿ ۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الآية ٦٦ غافر، فساوى بين الدعاء والعبادة وأنهما بمعنى واحد.

وقوله في سورة مريم على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام:﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ الآيتان ٤٨ ، ٤٩ مريم ، فدل على أن عبادتهم كانت هي دعاء غير الله من الأوثان وغيرها وفي هذا تسوية بين الدعاء والعبادة .

وقوله تعالى في سورة هود: ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴿١٠١﴾ ﴾ الآية ١٠١هود ، فدل على أن دعائهم لغير الله يكون تأليها له لأن الدعاء هو العبادة، والعبادة لاتكون إلا لله وحده.

ومن السنة بين صلى الله عليه وسلم في حديث النعمان بن بشير–رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال {الدعاء هو العبادة} [1]

وجاء في لفظ أن {الدعاء مخ العبادة} [2]

أما الدليل من الكتاب على أن دعاء غير الله شرك وكفر فقد جاء ذلك في آيات كثيرة منها :

قوله سبحانه : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ﴾ الآيتان ١٣، ١٤ فاطر ، فسمى دعائهم لغير الله شركا

---

[1] – سنن الترمذي ج٥/ص٤٥٦/ ج٢ / ح٣٣٧٢ / وقال " حسن صحيح" ، وقال بن حجر في فتح الباري ج١١/ص٩٤ "أخرجه الأربعة وصححه الترمذي والحاكم"

[2] – سنن الترمذي ج٥/ص٤٥٦/ ح ٣٣٧١ وقال :"غريب"

وقولـه سـبحانه:﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الآيتان ٧٣، ٧٤ غافر ، فبين سبحانه أن شركهم كان هو في الدعاء ، ووسمهم بالكفر، فهم جحدوا أنهم دعوا غير الله وهو الذي سماه الله شركا ، فلم يقولوا لم نكن نشرك من قبل شيئا بل قالوا لم نكن ندعوا من قبل شيئا

وقولـه سـبحانه: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ ﴾ من الآية ٨٦ النحل، فاعترفوا أنهم قد أشركوا ، وأن شركهم كان هو الدعاء.

وقولـه سـبحانه: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ الآية ١١٧المؤمنون ، فوصف من دعا غيره بالكفر.

وقولـه سـبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ من الآية ٣٧ الأعراف ، فسمى دعاءهم لغير الله كفرا .

وقد جاء النهي الشديد عن دعوة غير الله في آيات كثيرة منها:

﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ الآية ٢١٣ الشعراء .

﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ من الآية ٨٨ القصص

﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾ ﴾ الآية ١٨ الجن

ففي هذه الآيات جاء النهي عن صرف الدعاء لغيره بإحدى صيغ العموم ،وهي النكرة في سياق النهي فيعم كل شيء فلا يجوز دعاء غير الله البتة .

وقولـه سـبحانه: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ الآية ١٠٦ يونس

وبين سبحانه بأن دعاء الغير لايمكن أن ينفع في آيات كثيرة منها :

- قوله سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ الآية ١٩٧ الأعراف
- وقوله تعالى (﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾ من الآية ١٤الرعد)
- وقوله سبحانه (﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍ ﴾ من الآية ٢٠ غافر
- وقوله سبحانه (ي﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ ا الآية ٧٣ الحج
- وقوله سبحانه ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ من الآيتان ٢٢،٢٣ سورة سبأ
- وقوله سبحانه﴿ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ﴾ من الآيتان ١٣، ١٤فاطر

فهل من بيان أبين من هذا؟.

ومن الشرك الأكبرفي العبادات الظاهرة الذبح لغير الله ، والدليل على ذلك:

قوله سبحانه : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ ﴾ الآية ٢ الكوثر

وقولـــه ســـبحانه : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣ قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج٢/ص١٩٩

: يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك فإن صلاته ونسكه على أسمه وحده لا شريك له وهذا كقوله تعالى فصل لربك وانحر أي أخلص له

صلاتك وذبحك ، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى أهـ.

وفي صحيح مسلم قال عليه الصلاة والسلام (لعن الله من ذبح لغير الله) [1]

وقس على –الذبح لغير الله– كل عبادة لله سبحانه ، فإنها إذا صرفت لغيره سواء كان نبيا أو وليا أو غيره، فإن ذلك شركٌ أكبر ، كالنذر والطواف والسجود ، وغير ذلك .

وهناك بعض الأعمال الظاهرة التي ، تكون تارة عبادة ، فيحرم صرف شيء منها لغير الله ، وتارة تكون عادة فلا يلام الإنسان على فعلها ، كالاستعاذة ،والاستغاثة ،والاستعانة ، وإليك تفصيل ذلك:

أولا:الاستعاذة:

وهي طلب الحماية من مكروه

وهي ثلاثة أنواع ، استعاذة مشروعة ومأمور بها ، واستعاذة جائزة ، واستعاذة ممنوعة :

الاستعاذة المشروعة ومنها :

١ – الاستعاذة بالله وهي التي تتضمن كمال الافتقار، واعتقاد كفاية من يعوذ به ، وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل ، صغير أو كبير بشر أو غيره ، – والاستعاذة بتلك الصفات لاتكون إلا لله – ودليلها قوله سبحانه :﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾ الآيتان ١، ٢

[1] – من حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، صحيح مسلم ج٣/ص١٥٦٧/ح١٩٧٨/باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله .

الفلق،وقوله سبحانه: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ﴾ الآيات ١-٤ الناس

٢- **الاستعاذة بصفة من صفات الله** ، ككلامه (كقوله صلى الله عليه وسله: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق) [١] أو بعظمته كما جاء في الحديث:(وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي) [٢] .

أو بعزته ، أو بقدرته، كما جاء في الحديث (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ماأجد وأحاذر) [٣] ، (اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك) [٤] إلى غير ذلك من صفات الله ، فالاستعاذة بالله أو بصفة من صفاته استعاذة مشروعة.

والاستعاذة الجائزة : هي الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين – ولابد من شرط القدرة على على ذلك – سواء كان بشرا أو مكانا ، فهذا جائز ودليله ماجاء في الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم في ذكر الفتن (من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجئا أو معاذا فليعذ به) [٥] ، وهذا المستعيذ إن كان قد استعاذ من شر ظالم وجب إيوائه وإعاذته بقدر الإمكان ، أما إذا طلب العوذ _ أي الحماية ليتوصل إلى فعل محضور أو الهرب من واجب فيحرم إيوائه .

---

[١] – من حديث خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها ، صحيح مسلم ج٤/ص٢٠٨٠/ ح٢٧٠٨ /باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره . وجاء أيضا من طريق أبي هريرة رضي الله عنه.
خولة بنت حكيم السلمية

[٢] – من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، صحيح ابن حبان ج٣/ص٢٤١/ح٩٦١ ، المستدرك على الصحيحين ج١/ص٦٩٨/ ح١٩٠٢ وقال :"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"

[٣] – من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، الأحاديث المختارة ج٥/ص١٤٥/ ح١٧٦٧، وقال :" هذا إسناده حسن" وهو في مسلم بلفظ :"أعوذ بالله وقدرته" من طريق عثمان بن أبي العاص الثقفي

[٤] – من حديث عائشة رضي الله عنها ، صحيح مسلم ج١/ص٣٥٢/ ح/٤٨٦/ باب ما يقال في الركوع والسجود.

[٥] – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج٣/ص١٣١٨/ ح٣٤٠٦/ باب علامات النبوة في الإسلام ، صحيح مسلم ج٤/ص٢٢١١/ح٢٨٨٦/ باب نزول الفتن كمواقع القطر

الاستعاذة الممنوعة: وهي شرك أكبر كمن يعوذ بالأموات ، أو بالأحياء غير الحاضرين أوبغير القادرين على حماية من يعوذ بهم ، ومن ذلك قوله سبحانه:﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ ﴾ الآية ٦ الجن

ثانيا: الاستغاثة:

وهي طلب الغوث أو طلب الإنقاذ عند الشدة والهلاك وهي ثلاثة أقسام استغاثة مشروعة ، وجائزة وممنوعة.

فالاستغاثة المشروعة المأمور بها ، هي الاستغاثة بالله عز وجل ، وهذا من أفضل الأعمال وأكملها ، وهو دأب الرسل وأتباعهم كما في قوله تعالى:﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ ﴾ الآية ٩ الأنفال .

والاستغاثة الجائزة، وهذه تكون للمخلوق بشرطين : ١-أن يكون المستغاث به حاضرا . ٢- وأن يكون قادرا على الإغاثة . فهذا جائز ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ من الآية ١٥ القصص

والاستغاثة الممنوعة: وهي شرك أكبر: ١-كالاستغاثة بالأموات. ٢- أو بالأحياء غير الحاضرين وغير القادرين على الإغاثة. ٣- أوفي أمر لايقدر عليه إلا الله .

لأنه لايفعل ذلك، إلا من يعتقد ، بأن لهؤلاء تصرفا خفيا في الكون ، فيجعل لهم حضا من الربوبية.

وقد قال سبحانه : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ الآية ٦٢ النمل.

ثالثا: الاستعانة:

وهي طلب العون ،وهي تكون عبادة ، إذا تضمنت كمال الذل من العبد لربه وتفويض الأمر إليه واعتقاد أن الله كافيه ، فهذه الاستعانة بتلك الصفة لاتكون إلا لله وحده .

والاستعانة بالمخلوق قد تكون مشروعة وقد تكون ممنوعة ،

فالاستعانة بالمخلوق تكون مشروعة بشرطين :

١- أن يكون قادرا علي تحقيق المطلوب منه. ٢- أن تكون الإعانة على البر والتقوى . لقوله تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ من الآية ٢ المائدة

وتكون الاستعانة بالمخلوق ممنوعة ، **في موضعين** : ١-إذا كانت الاستعانة من أجل أمر محرم للآية السابقة ، فهذه تكون معصية بحسبها. ٢- إذا كانت الاستعانة بمخلوق حي حاضر تراه أمامك ، ولكن تطلب العون منه في أمر لايقدر عليه إلا الله ، كمعرفة الغيب ، أو جلب نفع أو دفع ضر

لايستطيع مباشرته بنفسه ، أو الاستعانة بالاموات مطلقا ، فهذا يكون شركا أكبر مخرجا عن الملة ، لأنه لايقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفا خفيا في الكون .

فهذه الأنواع الثلاثة هي الشرك الأكبر الذي يرتد فاعله أو معتقده عن ملة الإسلام ، فلا يصلى عليه إذا مات ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ولا يورث عنه ماله بل يكون لبيت مال المسلمين إلى غير ذلك من الأحكام المترتبة على ردته .

إن الواجب على أهل العلم ، خلفاء الرسل أن يبينوا للناس هذا الأمر العظيم ، وأن تكون العناية به أعظم عناية ، لأنه متى سلم هذا الأصل صار مابعده تبعا له ، ومتى لم يوجد التوحيد لم ينتفع المكلف بأي عمل يعمله .

إنه يجب على كل واحد منا أن يعتني بهذا الأصل العظيم ، وأن يحكمه غاية الإحكام ، فبه نكون مسلمين ، وبه نكون دعاة للهدى ، ومبشرين بالحق ، وبه نكون مبصرين للناس بحقيقة دينهم الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم وبعث به الرسل جميعا.

شرك القلوب

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما مزيدا

أما بعد :

هذه تساؤلات قد ترد كثيرا:

كيف تكون ، الإنابة والتوبة والخشوع، والمحبة والخوف والخشية والرهبة ، والرغبة والرجاء، والتوكل ، كيف تكون هذه الأمور شركا؟

فأنا أحب الله ، ولكني كذلك أحب ولدي وزوجي ، وأخي، وأحب المال ،وأحب أشياء كثيرة ، فهل يعني هذا أنني مشرك في المحبة ؟

وكذلك ، أنا متوكل على الله ، ولكنني أستعين بالطبيب عند المرض ، وأستعين بأبنائي وأخوتي في الشدائد ، فهل يعني هذا أنني مشرك مع الله في التوكل أو في الاستعانة؟

وكذلك أنا أخاف الله ، ولكنني أخاف أيضا من العدو ، وأخاف من الوحش الكاسر، وأخاف من أبي أحيانا ، وأخاف من رئيسي في العمل فهل هذا شرك في الخوف؟

وكذلك ، أنا أرجو الله ، ولكنني أرجو أمورا كثيرة من الناس ، فأنا أرجو بجدي واجتهادي الترقية من مديري في العمل ، وأرجو بمذاكرتي النجاح ، وأرجو دائني أن يخفض من ديني ، أو يؤجله ، أو يعفو عن بعضه ، فهل هذا شرك في الرجاء مع الله؟

وهل يمكن في الإنابة والتوبة والخشوع أن تكون لغير الله؟

فإليك الجواب:

أما الإنابة والتوبة، والخشوع

فلا تكون إلا الله ،فلا يتاب إلا لله قال الله تعالى:﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ الآية ١٣٥ آل عمران ، وقال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ من الآية ٣١ سورة النور ،**وكذلك الإنابة** ، و هي الرجوع إلى الله بطاعته واجتناب معصيته وهي قريبة من معنى التوبة كما في قوله تعالى :﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ من الآية ٥٤ سورة الزمر، **وكذلك الخشوع** كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ من الآية ٩٠ سورة الأنبياء، فالخشوع هو الذل والتطامن لعظمة الله ، فصرف مثل ذلك لغير الله يكون شركا .

أما المحبة والخوف والخشية و الرجاء والرغبة والرهبة والتوكل ، فإن هذه الأمور تارة تكون عادة ، وطبيعة جُبِل عليها الإنسان ،وتارة تكون عبادة ، فالممنوع هو صرفها كعبادة لغير الله ، وليس الممنوع في كونها عادة ،

فمتى تكون عبادة؟ ومتى تكون عادة ؟ إليك تفصيل ذلك في كل نوع منها :

أولا :المحبة

منها ماهو محبة طبيعية، ومنها ماهو محبة عبادة ، فالمحبة الطبيعية قد تكون محمودة ، وقد تكون مذمومة ، وضابط ذلك : أن كل محبة ، زاحمت محبة الله ورسوله بحيث تضعفها، وتنقصها ، فهي مذمومة ، وإن أعانت على محبة الله ورسوله ، وكانت من أسباب قوتها ، فهي محمودة ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الشراب البارد الحلو، ويحب الحلواء والعسل، ويحب الخيل وكان أحب الثياب إليه القميص ، وقال عن خديجة رضي الله تعالى عنها :(إني قد رزقت حبها) [1]

[1] – من حديث عائشة رضي الله عنها ، صحيح مسلم ج٤/ص١٨٨٨/٢٤٣٥/ باب فضل خديجة رضي الله عنها

وقال لابنته فاطمة عن عائشة رضي الله عنها رضي الله عنا:(أي بنية ألست تحبين ما أحب فقالت بلى قال فأحبى هذه) [1]

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة) [2].

فهذه المحبة لا تزاحم محبة الله ، بل قد تجمع القلب على التفرغ لمحبة الله، فهذه محبة طبيعية، تتبع نية صاحبها وقصده بفعل ما يحبُّه ، فإن نوى به القوة على أمر الله تعالى وطاعته كانت قربة يثاب عليها ، وإن فعل ذلك بحكم الطبع والميل المجرد لم يثب ولم يعاقب .

ولا يجد حلاوة الإيمان ، بل ولا يذوق طعمه ، إلا من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهُما ، كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان) [3] ، وفي لفظ لمسلم (ثلاث من كن فيه وجد طعم الإيمان) [4] : من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله تعالى منه كما يكره أن يلقى في النار ، وفي الصحيحين أيضا عنه قال :(والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين) [5]

وقد قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى

---

[1] – من حديث عائشة رضي الله عنها صحيح مسلم ج٤/ص١٨٩١/ح٢٤٤٢ / باب فضل عائشة رضي الله عنها

[2] – الأحاديث المختارة ج٥/ص١١٢/ح١٧٣٦ ، وقال :"إسناد صحيح" ، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج٢/ص١٧٤ وقال :" صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" والنسائي في السنن الكبرى ج٥/ص٢٨٠/ح٨٨٨٨

[3] – من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج١/ص١٤/ ح١٦/ باب حلاوة الإيمان ؛ صحيح مسلم ج١/ص٦٦/ح ٤٣ /باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان

[4] –صحيح مسلم ج١/ص٦٦/ ح٤٣/ باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان

[5] – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه صحيح البخاري ج١/ص١٤/ ح١٥/ باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان ، صحيح مسلم ج١/ص٦٧/ ح٤٤/ باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبه

سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الآيــة ٢٤ ســورة التوبة .

فإذا قدَّم المسلم ، أيا من تلك المحاب الثمانية على محبة الله وطاعته ، فإنه لم يكن صادقا في دعواه، بأنه محب لله ، ويكون بذلك قد أشرك في محبة الله شركا أصغر ينافي كمال التوحيد .

وما اسهل أن يدعي كل منا بأنه يحب الله و ما اصعبه بالفعل ، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان ، فما أكثر ما يقدم العبد ، ما يحبه هو، ويهواه ، أو يحبه كبيره ، أو أميره أو شيخه ، أو أهله على ما يحبه الله تعالى ، فإن هذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب ، وسنة الله تعالى فيمن هذا شأنه ، أن ينكد عليه محابه ، وينغصها عليه ، ولا ينال شيئا منها ، الا بنكد وتنغيص ، جزاء له على إيثار هواه ، وهوى من يعظمه من الخلق ، أو يحبه على محبة الله تعالى .

وقد قضى الله تعالى قضاء لا يرد ، ولا يدفع ، أن من أحب شيئا سواه، عذُّبَ به ولا بد ، وأن من خاف غيرالله ، سلط عليه ، وان من اشتغل بشئ غيره ، كان شؤما عليه ، ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه، ومن أرضى غيرالله بسخطه أسخطه عليه .

متى تكون المحبة شركا أكبر؟

وتكون المحبة شركا أكبر إذا كانت عبادة ، وهي تكون عبادة إذا وجد معها الذل والخضوع لمن تحب ، لأن العبادة: هي ماجتمع فيها الحب مع الذل ، فكل من ذللت له وأطعته وأحببته دون الله فأنت عابد له، فإذا صرفت المحبة بهذه الصفة إلى غير الله كانت شركا أكبر مخرجا عن الملة .

وهذا هو حال أكثر مشركي العالم ، بل كلِّهم ، يحبون معبوداتهم، ويعظمونها ويوالونها من دون الله ، وكثير منهم، بل أكثرهم ،يحبون آلهتهم أعظمَ من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظمَ من استبشارهم إذا ذكر الله وحده ، ويغضبون أشد الغضب على من ينتقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ

والأولياء ، أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين ، وإذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوداتهم المزعومة ، غضبوا ، وإذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها .

وقد قال سبحانه في أمثالهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ الآيات ١٦٥-١٦٧ سورة البقرة

فكل من اتخذ ندا لله،/ يدعوه من دون الله ، كحال عباد القبور، والأولياء والطواغيت والأصنام ، فلابد أن يعظموهم ويحبوهم لذلك ، فإنهم أحبوهم مع الله ، وإن كانوا يحبون الله ،ولو صلوا وصاموا وقاموا بفرائض الإسلام كلها ، فاتخاذهم للأنداد وحبهم لها كحب الله، يبطل كل قول يقولونه وكلَّ عمل يعملونه ، والدليل الآية السابقه فهم يحبونهم كحب الله ، وقال هم في النار وأن أعمالهم تكون حسرات عليهم ، فإذا كان هؤلاء صاروا مشركين لأنهم أحبوا الأنداد كحب الله ، فمابالك بمن يحب غير الله أكثرَ من محبة الله ؟ بل مابالك بمن يحب غير الله ولا يحب الله؟ فهذا أقبح وأعظم ، وهذا موجود في كثير ممن ينتسبون لهذا الدين ، فإنهم يحبون أوليائهم أكثر من محبتهم لله ، بل إن منهم من يأتي إلى مكة والمدينة ويرون أن زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من زيارة البيت ، لأنهم يجدون في أنفسهم حبا لرسول الله كحب الله أو أعظم ، وهذا شرك لأنهم جعلوا محبة الله تابعة لمحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ،ووما يدل على ذلك أنه لو قيل لأحدهم: احلف بالله. فسيحلف لك بالله صادقا أو كاذبا ، أما الولي فلا يحلف به إلا صادقا، وكذلك ، عندما يقع في حالة اضطرار أو في خطر داهم فإنه يستنجد بالولي ولا يستنجد بالله ، وهؤلاء أسوء حالا من مشركي الجاهلية ، لأنهم كانوا يدعون الله في الشدة ويشركون في الرخاء ، أما هؤلاء فإنهم يشركون في الرخاء والشدة ،بل إذا اشتد الأمر وعظم الخطب لجئوا إلى الولي عياذا بالله .

ثانيا: الخوف والخشية والرهبة

أما الخوف والخشية والرهبة فالمؤدى واحد والمعنى فيها متقارب ، والخوف أعم من الخشية ومن الرهبة ، لأن الخشية هي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه ، لقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ من الآية ٢٨ فاطر .

الفرق بين الخوف والخشية:

ولمعرفة الفرق بين الخوف والخشية أضرب مثالا : فإذا خفت من شخص لاتدري هل هو قادر عليك أم لا فهذا خوف ، وإذا خفت من شخص تعلم بأنه قادر عليك فهذه خشية ، أما الرهبة فهي الخوف المقرون بعمل يبعدك ممن تخاف منه ، فهو الذي يثمر الهرب ممن تخاف منه

والخوف والخشية والرهبة تئول إلى ثلاثة أقسام:

١- منه مايكون عادة ٢- ومنه مايكون شركا أصغر ينافي كمال التوحيد ٣- ومنه مايكون شركا أكبر مخرجا عن الملة.

القسم الأول: خوف العادة

فالخوف الطبيعي هو خوف العادة، كالخوف من العدو أو السبع أو غير ذلك ، فهذا لايذم صاحبه كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام:﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ن الآية ٢١ سورة القصص.

القسم الثاني: خوف الشرك الأصغر

ويكون الخوف شركا أصغر، بأن يترك الأنسان مايجب عليه أو يفعل مانهي عنه خوفا من بعض الناس فهو محرم وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد،كمن يحلق لحيته خوفا من أن يقال أنه متطرف، أو إرهابي ، وكما لو أمرك أبوك أن تشتري له دخانا مثلا فتفعل ذلك خوفا منه ، أو جلبت لزوجتك أو لابنتك مجلة محرمة ، خوفا منها ، ومثال ترك الواجب ،كأن تترك صلة رحمك خوفا من غضب زوجتك أو غيرها .

ويستثنى من ذلك حال الإكراه لعموم قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ من الآية ١٠٦ النحل. والإكراه لايكون إلا من شخص قادر على إيقاع الأذى بالمُكرَه.

واختار الشيخ ابن باز –رحمه الله تعالى– بأن مثل هذا لايدخل تحتى مسمى الشرك ، وإنما يكون معصية كسائر المعاصي ، ونص قوله:" الخوف لايكون شركا أصغر كما لو فعل محرما أو ترك واجبا خوفا من زوجته ونحو ذلك فلا أعرف أن في الخوف شرك أصغر " [١]

القسم الثالث: خوف الشرك الأكبر

[١] – من شرحه لكتاب كشف الشبهات / الشريط الأول / الوجه الأول/ تسجيلات البردين الإسلامية.

ويكون الخوف شركا أكبر، بأن يخاف العبد من غير الله تعالى بأن يصيبه مكروه بمشيئته و قدرته وإن لم يباشره بنفسه ، فيجعله الخوف يفعل عبادة باطنة كمن يخشى صاحب القبر، أو الولي المعبود من دون الله ، أن يوقع به مكروها أو يغضب عليه وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان ، فيقولون له لو لم تفعل كذا ، أو لو لم تذبح له ، فإنه سوف يصيبك وأهلك مكروه ، فهذا شرك أكبر لأنه اعتقاد للنفع والضر في غير الله ، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ من الآية ٥١ سورة النحل . وقال :﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ من الآية ٤٤ سورة المائدة. وقال تعالى : ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الآية ١٠٧ سورة هود .

الخوف المحمود

والخوف من الله يكون محمودا إذا كان سببا في ترك المعاصي ، والابتعاد عنها ، والقيام بالطاعات ،

الخوف المذموم:

ويكون الخوف مذموما، بل يكون كفرا إذا أدى به الخوف من الله إلى اليأس أوالقنوط كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ من الآية ٨٧ سورة يوسف.

ةقال سبحانه :"﴿ وَمَنۡ يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ من الآية ٥٦ سورة الحجر.

وقد قال سبحانه :﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الآية ٥٣ سورة الزمر.

ثالثا: الرجاء والرغبة

أما الرجاء والرغبة فمؤداهما واحد وإن اختلفا في المعنى ، فالرجاء هو طمع الإنسان في أمر قريب المنال ، والرغبة هي إرادة الشيء ، فهما أمران متعلقان بالنية المصاحبة للعمل ، سواء كان قولا أوفعلا

، ودليل الرغبة ، قوله سبحانه:﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ من الآية ٩٠ الأنبياء ، ودليل الرجاء قوله تعالى :﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ من الآية ٥٧ سورة الإسراء.

فالرجاء المتضمن للذل والخضوع لايكون إلا لله ، وهو إذا صرف لغير الله فهو شرك أكبر أو أصغر بحسب ما يقوم بقلب الراجي ،

متى يكون الرجاء شركا أكبر؟

يكون شركا أكبر إذا اعتقد الشخص في المرجو بأن له سلطانا غيبيا فوق طاقة البشر، فيعتقد أنه يسمعه إذا دعاه ويرى مكانه ويعلم حاجته ويقضيها بقدرة اعتقدها فيه ، فإنه قد أشرك شركا أكبر مخرج عن الملة .

وكذلك يكون شركا أكبر إذا رجوت من أحد، أمرا لايقدر عليه إلا الله كمن يدعو الأموات أو غيرهم راجيا حصول مطلوبه من جهتهم فهذا شرك أكبر.

متى يكون الرجاء شركا أصغر؟

يكون شركا أصغر فيما إذا عمل العمل الذي هو خاص بالله من أجل أمر من أمور الدنيا ، كمن يتعلم العلم من أجل أن ينال منصبا ، أو من أجل نيل الشهادة ، أو ليقال عالم ، ولم يرد بذلك وجه الله ، أو يحسن من ظاهر عبادته لكي يحمده الناس ، فهذا قد أشرك شركا أصغر يحبط العمل المصاحب له ، وقد قال سبحانه :﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الآية ١١٠ سورة الكهف ، ويدخل في ذلك الرياء ،وموضوع الرياء له كلام مستقل بذاته يأتي إن شاء الله في موضع مستقل من هذا الكتاب .

متى يكون الرجاء محمودا؟

ويكون رجاء الله محمودا ، لمن عمل بطاعة الله أو تاب من معصيته ورجا مع ذلك قبول توبته كما تقدم في قوله سبحانه :﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾

متى يكون الرجاء مذموما؟

ويكون الرجاء مذموما، إذا لم يصحبه العمل لأن الرجاء من غير عمل غرور، ، وقد قال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾ الآية ٢١٨ سورة البقرة . وقال سبحانه : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ﴾ الآية ١١٠ سورة النحل. فهؤلاء مع أعمالهم الجليلة كلها هم الذين يرجون رحمة الله.

رابعا: التوكل

أما التوكل فهو أقسام ، توكل مشروع ،وتوكل جائز ، وتوكل ممنوع

القسم الأول : التوكل المشروع

وهو الاعتماد على الله عز وجل في دفع المضار مع فعل الأسباب التي أمر بها ، لأن التوكل على الله بدون فعل الأسباب طعن في الله عز وجل وفي حكمته ، وهذا هو معنى التوكل الذي جاء في القرآن والسنة كما في قوله تعالى:﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ ﴾ الآية ١٢٣ هود وقوله عن نبيه شعيب عليه السلام :﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ الآية ٨٨ هود، وقوله سبحانه : ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ من الآية ٥٨ الفرقان وقوله سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾ ﴾ الآيتان ٨، ٩ المزمل ، وقوله سبحانه :﴿ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ من الآية ٣٠ الرعد ، وقوله عن الحنفاء أتباع إبراهيم عليه السلام :﴿ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ الآية ٤ الممتحنة

وقال عليه الصلاة والسلام: (لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم الله كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا) [١] فهي قد فعلت السبب ، تغدو وتروح

ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس توكلا ومع ذلك كان يأخذ بالإسباب، يلبس الدروع إذا خرج للحرب ، وأمر بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، إلى غير ذلك من أخذه بالأسباب .

القسم الثاني : التوكل الجائز

وهو بأن تعتمد على الغير في بعض شئونك الحياتية ، وكتوكيل الغير فيما يتصرف فيه المتوكل بحيث ينيب غيره في أمر مباح ونحو ذلك .

---

[١] – من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، صحيح ابن حبان ج٢/ص٥٠٩/ ح٧٣٠ ، سنن الترمذي ٤/ص٥٧٣/ح٢٣٤٤ ، وقال :"حسن صحيح" ، المستدرك على الصحيحين ج٤/ص٣٥٤/ ح٧٨٩٤ ، وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ، قال في الأحاديث المختارة ج١/ص٣٣٤:"إسناده صحيح" ؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل ج١/ص٣٠/ح٢٠٥

القسم الثالث : التوكل الممنوع

وهو نوعان : فمنه مايكون شركا أصغر ينافي كمال التوحيد ، ومنه ما يكون شرك أكبر

متى يكون التوكل شركا أصغر؟

يكون التوكل شركا أصغر إذا اعتمد الشخص على سبب شرعي صحيح مع غفلته عن المسبب وهو الله تعالى فهذا نوع من الشرك ، لايخرج عن الملة، لأنه اعتمد على السبب ونسي المسبب، كمن يعتمد على الطبيب في شفاء المرض وقد غفل عن أن الشافي الحقيقي هو الله ، و كالموظف يتعلق قلبه بالمرتب تعلقا كاملا مع الغفلة عن المسبب وهو الله .

وكذلك يكون شركا أصغر إذا اعتمد على سبب غير مشروع كما لو اعتمد على التميمة [1] ، أو الحجاب وغير ذلك ، مما قد نهى الشرع عنه كما قال صلى الله عليه وسلم:(من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له) [2] ، وفي اللفظ الآخر (من علق تميمة فقد أشرك) [3] ، حتى ولو كانت التميمة أو الحجاب بكلام الله سبحانه فلا يجوز ، لأن ذلك وسيلة إلى الشرك.

متى يكون التوكل شركا أكبر؟

ويكون التوكل شركا أكبر بأن يتعلق الإنسان بشيء لايمكن أن يكون له تأثير ويعتمد عليه اعتمادا كاملا معرضا عن الله –وهو توكل السر– مثل تعلق عباد القبور بمن فيها عند حلول المصائب بأن يعتمد على

---

[1] – قال بن عبد البر في التمهيد ج١٧/ص١٦٢:"التميمة في كلام العرب القلادة هذا أصلها في اللغة ومعناها عند أهل العلم ما علق في الأعناق من القلائد خشية العين أو غيرها من أنواع البلاء"

[2] – من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه ، المستدرك على الصحيحين ج٤/ص٢٤٠/ح٧٥٠١ ، وقال :" حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه مسند ، ووافقه الذهبي في التلخيص ، الإمام أحمد بن حنبل ج٤/ص١٥٤/ح١٧٤٤٠ ، مسند أبي يعلى ج٣/ص٢٩٥/ح١٧٥٩

[3] – المستدرك على الصحيحين ج٤/ص٢٤٣/ح٧٥١٣ ، وسكت عنه الذهبي في التلخيص

ميت في جلب منفعة أو دفع مضرة ، بل إنه يقال بأن سائق الأجرة قبل أن يبدأ يومه بالعمل يقف بسيارته عند صاحب القبر طالبا المدد ، فهذا شرك أكبر لأنه لايقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفا سريا في الكون ، ولافرق بين النبي أو غيره .،

ومن الشرك الأكبر أيضا أن تتوكل على غير الله فيما لايقدر عليه إلا الله ، سواء كان هذا الذي يتم التوكل عليه حيا أم ميتا ، كإنزال المطر ونحو ذلك من الأمور، التي لاتكون إلا لله .

وكذلك يكون شركا أكبر عند تعلق القلب بسبب غير مشروع كمن يتعلق بالتميمة فيعتقد أنها بذاتها تمنع الشر عنه ، أو تجلب الخير له ، فهذا يكون شركا أكبر مخرج عن الملة.

وخلاصة ذلك أن المشروع في التوكل هوالأخذ بالأسباب الصحيحة والمشروعة مع التوكل على الله أما من اعتمد على الأسباب فقط فهو مشرك ، أو اعتمد على أسباب فاسدة وغير شرعية ، فهذا أيضا من الشرك وقد تكون شركا أكبر أو أصغر بحسب مايقع في قلبه ، ومن توكل على الله وألغى الأسباب فهو جاهل مفرط مخطئ فالمطلوب شرعا هو الجمع بين التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب الشرعية الصحيحة.

ماهي الأشياء التي تنافي التوكل ؟

اعلم بأن من أهم الأمور التي تتنافى مع التوكل هي العدوى ، والطيرة ، والذهاب للسحرة والمنجمين

وقد جاء التحذير من ذلك كما في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين (لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد) [١]

وهذا الحديث يثير التساؤلات الآتية:

أولا : ما معنى قوله:لا عدوى

قوله: " لا عدوى" أي على الوجه الذي كانوا يعقتدونه في الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى وأن هذه الأمراض تعدي بطبعها ، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من هذه الأمراض سببا لحدوث ذلك ، ولهذا قال في نهاية الحديث(وفر من المجذوم كما تفر من الأسد) ، وقال في الحديث الآخر :(لا يورد ممرض على مصح) [٢] ، وقال في الطاعون:(إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها) [٣] وفي لفظ آخر :إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه) [٤]

وعندما قال عليه الصلاة والسلام :(لا عدوى ولا صفر ولا هامة فقال أعرابي يا رسول الله فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها فقال فمن أعدى الأول) [٥]

والمعنى أن الأول انما أصابه الجرب بقضاء الله وقدره فكذلك الثاني وما بعده.

---

[١] – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج٥/ص٢١٥٨/ ح٥٣٨٠/باب الجذام ، صحيح مسلم ج٤/ص ١٧٤٢/ح ٢٢٢٠/باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح

[٢] – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج٥/ص٢١٧٧/ ح ٥٤٣٧/باب لا هامة ؛ صحيح مسلم ج٤/ص١٧٤٣/ح٢٢٢١/ باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح

[٣] – من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه، صحيح البخاري ج٥/ص٢١٦٣/ح٥٣٩٦ / باب ما يذكر في الطاعون ، صحيح مسلم ج٤/ص١٧٣٩/ح٢٢١٨/ باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها

[٤] – من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما صحيح البخاري ج٥/ص٢١٦٣/ ح٥٣٩٧/ باب ما يذكر في الطاعون ، صحيح مسلم ج٤/ص١٧٤٠/ح٢٢١٩/ باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها

[٥] – صحيح مسلم ج٤/ص١٧٤٢/ ح٢٢٢٠/ باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح

وأما أمره بالفرار من المجذوم ، ونهيه عن ايراد الممرض على المصح ، وعن الدخول إلى موضع الطاعون ، فإنه من باب اجتناب الأسباب التي خلقها الله تعالى وجعلها أسبابا للهلاك والأذى، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية ، فكما أنه يؤمر أن لا يلقي نفسه في الماء أو في النار أو تحت الهدم أو نحو ذلك كما جرت العادة بأنه يهلك ويؤذي ، فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم وقدوم بلد الطاعون ، فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف والله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر غيره ، فكل ذلك بتقدير الله تعالى ولكن كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (نفر من قدر الله إلى قدر الله) [1].

فالذي عليه أهل التحقيق من أهل العلم أن العدوى موجودة ويدل على وجودها ماتقدم ، لكن تأثيرها ليس أمرا حتميا بحيث تكون علة فاعلة.

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالفرار من المجذوم وأن لايورد ممرض على مصح من باب تجنب الأسباب لامن باب تأثير الأسباب بنفسها ، فالأسباب لاتؤثر بنفسها ، لكن ينبغي لنا أن نتجنب الأسباب التي تكون سببا للبلاء لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾ من الآية ١٩٥ البقرة

وأما اذا قوي التوكل على الله والإيمان بقضائه وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتمادا على الله ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك لا سيما اذا كانت فيه مصلحة عامة أو خاصة وعلى هذا يحمل الحديث / (أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة ثم قال كل باسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه) [2] ، ونظير ذلك ما روي عن خالد بن الوليد–رضي الله عنه– من أكل السم. [3]

---

[1] – من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما صحيح البخاري ج٥/ص٢١٦٣/ ح٥٣٩٧/ باب ما يذكر في الطاعون ، صحيح مسلم ج٤/ص١٧٤٠/ح٢٢١٩/ باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها

[2] – من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ، صحيح ابن حبان ج١٣/ص٤٨٨/ ح٦١٢٠ ، المستدرك على الصحيحين ج٤/ص١٥٢/ ح٧١٩٦ وقال :" صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي في التلخيص ، سنن أبي داود ج٤/ص٢٠/ح ٣٩٢٥ وسكت عنه ، سنن الترمذي ج٤/ص٢٦٦/ح١٨١٧، وقال :"غريب"

[3] – قال ابن حجر في فتح الباري ج١٠/ص٢٤٨: "أخرج بن أبي شيبة وغيره أن خالد بن الوليد لما نزل الحيرة قيل له احذر السم لا تسقيكه الأعاجم فقال ائتوني به فأتوه به فأخذه بيده ثم قال بسم الله واقتحمه فلم يضره"

ثانيا : ماهي الطيرة ؟ ومامعنى قوله : لاطيرة ؟

الطيرة هي التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع والأشخاص وغيرها.

أما قوله ولا طيرة

فالطيرة تنافي التوحيد من وجهين : ١- أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غير الله. ٢- أنه تعلق بأمر لاحقيقة له ، بل هو وهم وتخييل، فأي رابطة بين هذا الأمر وبين ماحصل له؟

فإن تعلق القلب بمثل ذلك خوفا وطمعا ينافي التوكل على الله الذي لاينفع ولا يضر غيره ، واعتقاد النفع والضر في طائر ونحوه لاعلم عنده ولا قصد ، وإنما تذهب وتجيء في ضرورة معيشتها وشؤونها ، فاعتقاد أن لهذه الحركات ذات اليمين وذات الشمال أثرا في جلب خير ، أو دفع ضر من سخف العقول وفساد الفطر ، وتمكن الخرافات والجهل وعمى القلوب .

ومن أعظم التطير من يتطير من أمور الخير ، فإذا جائهم من يأمر بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، فأصابهم سوء تطيروا بهذا الآمر أو الناهي ، فيكونون كسلفهم السابقين كما قال قوم فرعون :﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١ ﴾ الآية ١٣١ الأعراف . وقال الآخرون لرسلهم: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ ﴾ أي حظكم وما نالكم من خير وشر معكم بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين ليس هو من أجلنا ولا بسببنا بل ببغيكم وعداوتكم فطائر الباغي الظالم معه وهو عندالله . الآيتان ١٨، ١٩ سورة يس

ولو فقهوا أو فهموا لما تطيروا بما جاءت به الرسل ؛ لأنه ليس فيما جاءوا به ما يقتضي الطيرة لأنه خير محض لا شر فيه ، وصلاح لا فساد فيه ، وحكمة لا عيب فيها ، ورحمة لا جور فيها .

فلو كان هؤلاء القوم من أهل الفهم والعقول السليمة لم يتطيروا من هذا ؛ لأن الطيرة إنما تكون بالشر لا بالخير المحض والحكمة والرحمة بل طائرهم معهم بسبب كفرهم وشركهم وبغيهم

فالآية الأولى تدل على أن المقدر لهذا الشيء هو الله(ألا إنما طائرهم عند الله) ، والآية الثانية تبين سبب ما أصابهم من السوء (طائركم معكم)، أنه من أنفسكم ، فلا منافاة بينهما. كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ الآيتان ٧٨،٧٩ النساء.

وقال عليه الصلاة والسلام :(من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك فقالوا وما كفارة ذلك قال أن تقولواااللهم لاخير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك) [١]

فمن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ، وذلك أن التطير هو التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع . فإذا استعملها الإنسان فرجع بها عن سفره ، وامتنع بها عما عزم عليه ، فقد قرع باب الشرك ، بل ولجه وبرىء من التوكل على الله ، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله .

وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي–رضي الله عنه– أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنا أناس يتطيرون فقال ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم) [٢]

ومن تطير تطيرا منهيا عنه ، بأن يعتمد على ما يسمعه ويراه ، حتى يمنعه مما يريده من حاجته ، فإنه قد يصيبه ما يكرهه عقوبة له لما رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– مرفوعا (لا طيرة والطيرة على من تطير) [٣] ، فمن ردته الطيرة عن حاجته خشية أن يصيبه ما تطير به فانه قد يصاب بما يخشى منه.

---

[١] – من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٢/ص٢٢٠/ح٧٠٤٥ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٥/ص١٠٥:"رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات"

[٢] – صحيح مسلم ج١/ص٣٨١ / ح٥٣٧ / باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة

[٣] –صحيح ابن حبان ج١٣/ص٤٩٢/ح٦١٢٣ ، قال ابن حجر في فتح الباري ج٦/ص٦٣:"وفي صحته نظر لأنه من رواية عتبة بن حميد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس وعتبة مختلف فيه"

أما من توكل على الله ووثق به بحيث علق قلبه بالله خوفا ورجاء ، وقطعه عن الالتفات الى غير الله ، وقال وفعل ما أمر به فإنه لا يضره ذلك.

ثالثا: مامعنى قوله : ولا هامة

والمراد به البومة قال ابن الأعرابي كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول نعت إلى نفسي أو أحدا من أهل داري.

رابعا : مامعنى قوله : ولا صفر

بعضهم قال المراد به نوع من أنواع المرض المعدية ، وبعضهم قال المراد به شهر صفر فقد كان أهل الجاهلية يستشئمون بصفر ويقولون إنه شهر مشؤوم فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك .

وكثير من الجهال يتشاءم بصفر وربما ينهي عن السفر فيه والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام كيوم الأربعاء وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة.

فإن قال قائل كيف تقول أن التشاؤم محرم ، وقد أثبته الشرع؟

فتقول له : كيف ؟

فيقول لك : ألم يقل عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين(أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة إنما الشؤم في ثلاث في الفرس والمرأة والدار) [1] **فيقال له بأنه لاتعارض مع ما ذكرت لك :**

فإن المقصود من هذا الحديث نفي صحة الشؤم ووجوده على وجه المبالغة ، فهو من قبيل قوله صلى الله عليه وسلم:(لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين) [2] ، كأنه قال: لو كان الشؤم موجودا لكان في تلك الثلاث،ويدل على ذلك ماجاء في لفظ آخر للحديث وهو في الصحيحين (إن كان الشؤم في شيء ففي الفرس والمرأة والمسكن) [3]

وليس كل امرأة أو دابة أو مسكن ينطبق عليها هذا الحديث . بل المراد به: الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة العاقر التي لا تلد ، أو اللسنة المؤذية ، أو المبذرة بمال زوجها سفاهة ونحو ذلك ، وكذا الدار الجدبة أو الضيقة أو الوبيئة الوخيمة المشرب ، أو السيئة الجيران وما في معنى ذلك ، وكذا الدابة التي لا تلد ولا نسل لها ، أو الكثيرة العيوب الشينة الطبع وما في معنى ذلك، فهذا كله شيء ضروري مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية.

---

(1) – صحيح البخاري ج٥/ص٢١٧٧/ ح ٥٤٣٨ / باب لا عدوى ، صحيح مسلم ج٤/ص١٧٤٦/ ح٢٢٢٥/ باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم

(2) – من حديث ابن عباس رضي الله عنهما صحيح مسلم ج٤/ص١٧١٩/ ح٢١٨٨/ باب السحر

(3) – من حديث ابن عمر رضي الله نعالى عنهما ، صحيح البخاري ج٥/ص١٩٥٩/ح٤٨٠٥/ باب ما يتقى من شؤم المرأة وقوله تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ، صحيح مسلم ج٤/ص١٧٤٧/ ح٢٢٢٥/ باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم.

وفي لفظ آخر للبخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن كان في شيء ففي الفرس والمرأة والمسكن) صحيح البخاري ج٥/ص١٩٥٩/ح٤٨٠٧ ، صحيح مسلم ج٤/ص١٧٤٨/ح٢٢٢٦

وإنما الطيرة التي جاء النهي عنها هي فيمن يتشائم من تلك الأشياء لغير سبب محسوس ، فبعضهم مثلا يتشائم من امرأته رغم أنها قد تكون امرأة صالحه فهو يعتقد أنها نحس عليها لذاتها لا لسوء خلقها ، ويعتقد أنه كان غنيا فافتقر لنحاستها عليه، وليس بسبب تبذيرها مثلا ، أو يُعتقد في امرأة توفي معها أكثر من زوج أن من يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه ، فهؤلاء يتشائمون بأسباب غير محسوسة بل عندهم أن لها نجما لا يوافق نجمة ، وذلك من وحي الشيطان يوحيه الى أوليائه من المشركين وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ من الآية ١٢١ الأنعام . وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ من الآية ٢٧ الأعراف .

والمقصود أن الشؤم المثبت في هذا الحديث أمر محسوس ضروري مشاهد ، وليس من باب الطيرة المنفية التي يعتقدها أهل الجاهلية ومن وافقهم.

ويؤيد هذا حديث جابر رضي الله تعالى عنه قال:(قيل يا رسول الله ما الشؤم ؟ قال سوء الخلق) [1] وقال عليه الصلاة والسلام : (من سعادة بن آدم ثلاثة ومن شقوة بن آدم ثلاثة من سعادة بن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ومن شقوة بن آدم المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء) [2] ، وفي رواية للحاكم (سعادة لابن آدم ثلاثة وشقاوة لابن آدم ثلاثة فمن سعادة بن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ومن شقاوة بن آدم المسكن الضيق والمرأة السوء والمركب السوء) [3]

---

[1] – المعجم الأوسط للطبراني ج٦/ص٣٨/ ح٥٧٢٦ وقال :"لا يروى هذا الحديث عن جابر إلا بهذا الإسناد تفرد به الفضل بن عيسى" ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٨/ص٢٥:"رواه الطبراني في الأوسط وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وهو ضعيف"

[2] –من حديث إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن جده ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج١/ص١٦٨/ ح١٤٤٥ ، وذكره ابن حجر في فتح الباري ج٦/ص٦٣ وسكت عنه

[3] – المستدرك على الصحيحين ج٢/ص١٥٧/ ح ٢٦٤٠ وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي في التلخيص

(وجاءت امرأة إلى رسول الله صلىالله عليه وسلم فقالت يا رسول الله دار سكناها والعدد كثير والمال وافر فقل العدد وذهب المال فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوها ذميمة) [1]

فهذا ليس من الطيرة المنهي عنها بل أمرهم بالانتقال من هذه الدار لأنهم استثقلوها واستوحشوا منها ، لما لحقهم فيها ليتعجلوا الراحة مما دخلهم من الجزع ؛ لأن الله قد جعل في غرائز الناس استثقال الأماكن التي ينالهم الشر فيها ، وحب من يجرى على يديه الخير لهم وإن لم يردهم به .

ولأن مقامهم في تلك الأماكن قد يقودهم الى الطيرة فيوقعهم ذلك في الشرك والشر الذي يلحق المتطير بسبب طيرته ، وهذا بمنزلة الخارج من بلد الطاعون غير فار منه ، ولو منع الناس الرحلة من الدار التي تتوالى عليهم فيها المصائب والمحن ، أو منعوا من الارتحال عن الأماكن التي تتعذر فيها الأرزاق مع سلامة التوحيد في الرحلة ؛ للزم من ذلك أن كل من ضاق عليه رزق في بلد، أو قلة فائدة صناعته أو تجارته فيها، أن لا ينتقل عنها الى غيرها وهذا غير صحيح

الخلاصة أن التشاؤم من تلك الثلاث مستثنى من الطيرة إذا وجدت الأسباب المحسوسة كسوء الخلق من المرأة أو الدابة ، أو ضيق المنزل أو كونه موبوءا ، و على هذا فالمعنى : الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس أو خادم فليفارق الجميع بالبيع والطلاق ونحوه ولا يقيم على الكراهة والتأذي به فانه شؤم

قال ابن حجر عن معنى الحديث في فتح الباري ج٦/ص٦٣:"وهذا يختص ببعض أنواع الأجناس المذكورة دون بعض وبه صرح بن عبد البر فقال يكون لقوم دون قوم وذلك كله بقدر الله وقال المهلب ما حاصله أن المخاطب بقوله الشؤم في ثلاثة من التزم التطير ولم يستطع صرفه عن نفسه فقال لهم إنما يقع ذلك في هذه الأشياء التي تلازم في غالب الأحوال فإذا كان كذلك فاتركوها عنكم ولا تعذبوا أنفسكم بها ويدل على ذلك تصديره الحديث بنفي الطيرة"

ولهذا فيشرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة أن يسأل الله من خيرها وخير ما جبلت عليه ويستعيذ من شرها وشر ما جبلت عليه وكذلك ينبغي لمن سكن دارا أن يفعل ذلك

---

[1] –سنن أبي داود ج٤/ص٢٠/ح٣٩٢٤ ، وسكت عنه ، موطأ مالك ج٢/ص٩٧٢/ح١٧٥١

فقد قال عليه الصلاة والسلام:(إذا أفاد أحدكم الجارية أو المرأة أو الدابة فليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة وليقل اللهم أني أسألك خيرها وخير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه وإن كان بعيرا فليأخذ بذروة سنامه) [1]

فإن قال قائل :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كما في الصحيحين :(لا طيرة وخيرها الفأل قالوا وما الفأل قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم) [2] وفي لفظ لمسلم :(لا عدوى ولا طيرة وأحب الفأل الصالح) [3] ، وفي لفظ في الصحيحين (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة الكلمة الطيبة) [4]

وهذا الحديث ومافي معناه يثير مسألتين:

المسألة الأولى : ما هو الفرق بين الفأل والطيرة؟

أما الفرق بين الفأل والطيرة : فإن الفأل الحسن لايخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله ، وليس فيه تعليق القلب بغير الله بل فيه من المصلحة والنشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة ، وصفة ذلك أن يعزم العبد على سفر، أو زواج، أو عقد من العقود ، أو على حالة من الأحوال المهمة ، ثم يرى في تلك الحال مايسره أو يسمع كلاما يسره ، مثل ياراشد أو سالم أو غانم ، فيتفائل ويزداد طمعه في تيسير ذلك الأمر الذي عزم عليه ، فهذا كله خير ، وآثاره خير وليس فيه شيء من المحاذير

---

[1] – من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه ، المستدرك على الصحيحين ج٢/ص٢٠٢/ ح٢٧٥٧ ، وقال:" هذا حديث صحيح على ما ذكرناه من رواية الأئمة الثقات عن عمرو بن شعيب ولم يخرجاه عن عمرو في الكتابين" ، ووافقه الذهبي في التلخيص. ، سنن ابن ماجه ج١/ص٦١٧/ح١٩١٨، سنن البيهقي الكبرى ج٧/ص١٤٨/ح١٣٦١٦،

[2] – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه صحيح البخاري ج٥/ص٢١٧١/ح٥٤٢٢ / باب الطيرة ، صحيح مسلم ج٤/ص١٧٤٥/ح ٢٢٢٣/ باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم

[3] – صحيح مسلم ج٤/ص١٧٤٦/ح٢٢٢٣/ باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم

[4] – من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه صحيح البخاري ج٥/ص٢١٧١/ح٥٤٢٤/ باب الفأل ، صحيح مسلم ج٤/ص١٧٤٦/ ح٢٢٢٤/ باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم ، واللفظ لمسلم

ومثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام فيسمع آخر يقول يا سالم أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول يا واجد ، فيقع في ظنه أنه برىء من مرضه ، أو يقع في ظنه أنه يجد ضالته ، ومنه الحديث المتقدم قيل يا رسول الله ما الفال فقال الكلمة الصالحة.

وإنما كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل ؛ لأن التشاؤم سؤء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق ، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.

وعن أنس بن مالك–رضي الله عنه – (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع يا راشد يا نجيح) [1]

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يوم صلح الحديبية حين جاء سهيل بن عمرو وقال:(لقد سهل لكم من أمركم) [2]

وأما الطيرة فإنه إذا عزم على فعل شيء من تلك الأمور النافعة في الدين أو الدنيا ، فيرى أو يسمع مايكره أثر في قلبه أحد أمرين أحدهما أعظم من الآخر ١– إما أن يستجيب لذلك الداعي فيترك ماكان عازما على فعله ، أو بالعكس فيتطير بذلك ، وينكص عن الأمر الذي كان عازما عليه ، فهذا كما ترى قد علق قلبه بذلك المكروه غاية التعليق وعوَّل عليه .

المسألة الثانية : هل يمكن أن يكون الفأل من الطيرة ؟

أما هل يمكن أن يكون التفاؤل من الطيرة؟ فنعم ، إذا صار الاعتماد على الفأل في العمل الذي تريد عمله فهذا من الطيرة ، كما لو رأيت شيئا يسرك فعزمت على السفر بناء على ذلك ، ولم تكن قد عزمت على السفر قبل ذلك .

ومن أوضح مايبين ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :(إنما الطيرة ماأمضاك و ردك) [3]

---

[1] – سنن الترمذي ج٤/ص١٦١،ح١٦١٦وقال:" حديث حسن غريب صحيح"

[2] – من حديث مسور بن مخرمة من حديث طويل فيه قصة الحديبية ،صحيح البخاري ج٢/ص٩٧٤/ ح٢٥٨١/باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط

[3] – من حديث الفضل بن العباس رضي الله عنهما ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج١/ص٢١٣/ح١٨٢٤

فالطيرة هي التي تجعل الإنسان يمضي لما يريده ولو كان مارآه أو سمعه يوجب التفائل ، بمعنى أنه رأى شيئا يسره فمضى من أجل ذلك .

فإن الفأل إنما يستحب لما فيه من البشارة والملاءمة للنفس فيسر به العبد ولا يعتمد عليه بخلاف مايمضيه أو يرده فإن للقلب عليه نوع اعتماد ، فأما أن يعتمد على الفأل ويمضي لأجله مع نسيان التوكل على الله فإن ذلك من الطيرة ، وكذلك إذا رأى أو سمع ما يكره فتشاءم به ورده عن حاجته فإن ذلك أيضا من الطيرة .

وليس من التفائل المحمود الاعتماد على المنجمين والكهنة أو البروج في فعل الشيء أو تركه ، بل قد يكون ذلك من الكفر الأكبر ، فقد روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قال:(من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما) [1]

قال شيخ الإسلام بن تيمية–رحمه الله تعالى– : العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق كل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهنا وعرافا أو ما في معناهم فمن أتاهم فصدقهم بما يقولون لحقه الوعيد الذي جاء في الأحاديث [2] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبش شعبة من السحر زاد مازاد) [3]

وقد جاء في الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الكهان قال: (ليسوا بشيء) [4]

في حديث معاوية ابن الحكم السلمي رضي الله عنه (قلت يا رسول الله إن منا رجالا يأتون الكهان قال فلا تأتهم) [1]

---

[1] – صحيح مسلم ج٤/ص١٧٥١/ح٢٢٣٠

[2] – انظر كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ج٣٥/ص١٧٣

[3] – من حديث ابن عباس رضي الله عنهما سنن أبي داود ج٤/ص١٥/ح٣٩٠٥ وسكت عنه ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج١/ص٣١١/ح٢٨٤١ قال النووي في رياض الصالحين ج١/ص٣٨١:"رواه أبو داود بإسناد صحيح " وقال الشوكاني في نيل الأوطار ج٧/ص٣٦٩:"حديث بن عباس سكت عنه أبو داود والمنذري ورجال إسناده ثقات"

[4] – من حديث عائشة رضي الله عنها صحيح البخاري ج٥/ص٢٢٩٤/ح٥٨٥٩/باب قول الرجل للشيء ليس بشيء وهو ينوي أنه ليس بحق ، صحيح مسلم ج٤/ص١٧٥٠/ ح٢٢٢٨/باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) [٢] ، وفي لفظ (من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) [٣]

وعن عمران بن حصين–رضي الله عنه– مرفوعا (ليس منا من تطيرأو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) [٤] فمن أتى العراف أو المنجم لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ، فإن صدقه فقد كفر؛ لأنه بذلك صدقه في ادعائه بعلم الغيب ، ولأنه اعتمد على كلام المنجم في عمله الذي يريد القيام به ، فيكون قد وقع في شرك التوكل فتوكل على غير الله في أمر لايملكه إلا الله.

ويدخل في ذلك الاعتماد على البروج التي تنشر في كثير من المجلات ، فإذا اعتمد عليها في كل مايأتي أو يذر ، فقد أشرك شركا أكبر من جهتين ١–لأنه نسب علم الغيب لهؤلاء المنجمين ، فكذب الله في قوله : ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الآية ٦٥ سورة النمل ، وقوله :﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الآية ٢٦ الجن ،وقوله :﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ من الآية ٥٩ سورة الأنعام

٢–ولأنه أشرك في عبادة التوكل فصرفها لغير الله .

ماهي كفارة الطيرة؟

---

[١] –صحيح مسلم ج١/ص٣٨١/ ح٥٣٧/باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة .

[٢] – سنن أبي داود ج٤/ص١٥/ ح٣٩٠٤ ، وسكت عنه ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٢/ص٤٢٩/ح٩٥٣٢، قال المنذري في الترغيب والترهيب ج٤/ص١٧:"رواه البزار بإسناد جيد ورواه الطبراني من حديث ابن عباس دون قوله ومن أتى"
قال ابن حجر في فتح الباري ج١٠/ص٢١٧:"وله شاهد من حديث جابر وعمران بن حصين أخرجهما البزار بسندين جيدين"

[٣] – المستدرك على الصحيحين ج١/ص٤٩/ ح١٥/ وقال :"هذا حديث صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي

[٤] – مسند البزار ج٩/ص٥٢/ ح ٣٥٧٨، قال المنذري في الترغيب والترهيب ج٤/ص١٧رواه البزار بإسناد جيد" وتقدم قول بن حجر تجويده لهذا السند ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٥/ص١١٧:"رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا اسحق بن الربيع وهو ثقة"

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام :(من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك فقالوا وما كفارة ذلك قال أن تقولواااللهم لاخير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك) [1]

وفي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال:(ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحسنها الفأل ولا ترد مسلما فإذا رأى أحدكم مايكره فليقل اللهم لايأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك) [2]

خامسا: ما حكم الذهاب إلى السحرة ؟

إن من علامات ضعف التوكل على الله الذهاب للسحرة .فإذا ما ابتلي بمرض أو سحر جعل اعتماده في ذلك على السحرة والمشعوذين ، وتعلق قلبه يهم ،ونسي الثوابت التي منها:

١- قول الله سبحانه: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ من الآية ١٠٧ يونس .

٢- وفي معنى الآية قوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله عنهما(يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم

---

[1] – من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٢/ص٢٢٠/ح٧٠٤٥ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٥/ص١٠٥:"رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات"

[2] –سنن أبي داود ج٤/ص١٨/ح٣٩١٩ ، وسكت عنه ، قال النووي في رياض الصالحين ج١/ص٣٨١:"حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح"

أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) [1]

٣- ومن الثوابت أيضا أن المؤمن مبتلى، بل إن من أسباب خلق الإنسان : أن يبتلى ويدل على ذلك آيات كثيرة ، منها :

قولـــه تعـــالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ من الآية ٧ هود.

وقوله تعالى:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾ من الآية ٢ سورة الإنسان

فبالابتلاء يظهر الصادق من الكاذب ويظهر الصابر من الجازع ، ولينظر إلى من تلجأ ، هل تلجأ لله أو إلى غيره ،

يقول سبحانه: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ من الآية ٣٥ الأنبياء .

وقال سبحانه:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ الآية ٣١ محمد.

وقال سبحانه:﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ الآيتان ٢، ٣ العنكبوت.

وقـــال ســـبحانه :﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ الآية ٢١٤ البقرة .

فلابد من الابتلاء ، ولابد من الصبر، ولايعني الصبر أن لاتبحث عن الدواء إذا أصبت بالمرض ، فطلب الدواء عند الإصابة بالمرض أمر مشروع ، بل هو مأمور به ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: (

[1] – مسند الإمام أحمد بن حنبل ج١/ص٢٩٣/ ح٢٦٦٩ ، سنن الترمذي ج٤/ص٦٦٧/ ح٢٥١٦، وقال :"حسن صحيح"

تداووا عباد الله فإن الله لم يضع داء الا وضع له دواء) [١] ، وقال (إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام) [٢] ، ، وقال صلى الله عليه وسلم(إن الله لم يجعل شفاءكم في حرام) [٣] وقال بن مسعود رضي الله عنه عندما سئل عن الخمر كدواء فقال (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم) [٤]

والسحر من الأمراض التي يمكن التداوي منها ،

ولما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم عندما سحر ، لو تنشرت فقال أما أنا فقد شفاني الله وعافاني وخشيت أن أثير على الناس شرا ، وهو في صحيح البخاري من قول عائشة بلفظ(أفلا . تعني: تَنَشَّرت ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما والله فقد شفاني وأما أنا فأكره أن أثير على الناس شرا) [٥] وفي لفظ (فهلاَّ تعني تنشرت) [٦]

فماهي النشرة ؟، وكم أقسامها ؟

أما النشرة فهي حل السحر ، وهي قسمان قسم ممنوع ، وقسم مشروع : ١- فالقسم الممنوع هوحل السحر بالسحر ٢- والقسم المشروع هوحل السحر بالرقية الشرعية والأدوية الحسية المجربة.

أولا: النشرة الممنوعة

---

[١] – من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه صحيح ابن حبان ج١٣/ص٤٢٦/ح٦٠٦١، سنن أبي داود ج٤/ص٣ / ح٣٨٥٥ ، وسكت عنه ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٤/ص٢٧٨/ ح١٨٤٧٧ ، المستدرك على الصحيحين ج٤/ص٤٤٢/ح ٨٢٠٦ ، وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد فقد رواه عشرة من أئمة المسلمين" ووافقه الذهبي ، وقال الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ج٤/ص١٦٩ :"إسناده صحيح"

[٢] – من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه سنن أبي داود ج٤/ص٧/ح٣٨٧٤، قال عمر الواداشي الأندلسي في تحفة المحتاج ج٢/ص٩

:"رواه أبو داود بإسناد صحيح وهو من رواية إسماعيل بن عياش عن ثعلبة بن مسلم وهو شامي ذكره ابن حبان في ثقاته"

[٣] – من حديث أم سلمة رضي الله عنها، صحيح ابن حبان ج٤/ص٢٣٣/ح١٣٩١

[٤] – ذكره في صحيح البخاري ج٥/ص٢١٢٩/ باب شراب الحلوى والعسل

[٥] – صحيح البخاري ج٥/ص٢١٧٥/ ح٥٤٣٢/باب هل يستخرج السحر

[٦] – صحيح البخاري ج٥/ص٢٢٥٢/ح٥٧١٦ / باب قول الله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون

أما القسم الأول من أقسام النشرة وهو التداوي من السحر بالسحر بأن يذهب بالمريض إلى السحرة من أجل طلب فك السحر ، فهذا محرم ؛ لأنه معاونة للساحر وإقرار له على عمله وتقرب إلى الشيطان بأنواع القرب ليبطل عمله عن المسحور ، وقد أخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النشرة فقال هو من عمل الشيطان) [1]

ولهذا ترى كثيرا من السحرة الفجرة ، يتعمدون سحر الناس ، ليضطروهم بذلك إلى سؤالهم لحله ، ليتوصلوا بذلك إلى أكل أموال الناس بالباطل ، فيستحوذون على أموالهم ودينهم.

فإن قال قائل إني مضطر لذلك ، وقد ثبت بالتجربة حل السحر بالسحر

فيقال بأن الله قد يقدر شفاء المسحور بسبب الذهاب للساحر ، ابتلاء من الله ، كحال عباد القبور عندما يطلبون شفاء مرضاهم من الموتى ، فيقدر الله شفائهم ، فيحسبون أن الميت قد استجاب لهم ، وهذا فيه تكذيب لله تعالى الذي قد بين لنا أتم البيان بأنهم لاينفعون ولايضرون كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤ ﴾ الآيتان ١٣، ١٤ فاطر

وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد لعن في الربا أربعة ونصه : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء) [2]، فالمحتاج للمال يدعي بأنه مضطر للمال ، ومع ذلك سوى بينه وبين آكل الربا في استحقاق اللعنة.

ولعن في الخمر عشرة (عاصرها والمعصورة له وشاربها وساقيها والمسقى له وحاملها والمحمولة له والمشترى لها وآكل ثمنها) [1] ، فسوى بينهم في استحقاق الإثم واللعنة رغم أن الحامل للخمرة ليس كمن يشرب الخمر.

---

[1] – سنن أبي داود ج٤/ص٦/ح٣٨٦٨ وسكت عنه ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٣/ص٢٩٤/ ح١٤١٦٧ ، المستدرك على الصحيحين ج٤/ص٤٦٤/ح٨٢٩٢ ، وقال:" هذا حديث صحيح ...ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي

[2] – من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه صحيح مسلم ج٣/ص١٢١٩/ح/١٥٩٨/ باب أخذ الحلال وترك الشبهات

فإذا كان الأمر كذلك ، فما بالك بمن يذهب للسحرة والمشعوذين من أجل فك السحر بدعوى الاضطرار ، لاشك أن ذلك أعظم من أكل الربا وشرب الخمر؛ لأن الذاهب إليه ربما فقد دينه كله ، لأن السحر كفر أكبر ، ويدل على ذلك قوله تعالى:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ من الآية ١٠٢ والسحر يدخل في الشرك الأكبر من جهتين :

١- من جهة مافيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم وربما تقرب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه .

٢- ومن جهة مافيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك.

مع ما فيه أيضا من التصرفات المحرمة والأفعال القبيحة كالقتل والتفريق بين المتحابين والصرف والعطف والسعي في تغيير العقول .

والاشتغال بالسحر أو الذهاب للسحرة من السبع الموبقات

فقد جاء في الصحيحين قوله عليه الصلاة والسلام(اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر... الحديث) [٢] فهذا الحديث عام في من يشتغل بالسحر، وفيمن يتعامل مع السحرة . والذي يذهب للسحرة لم يجتنب السحر -الذي هو من من أعظم الموبقات ، بل اقتحمه على بصيرة. وقد قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى:" والسحر من الشرك؛ لأنه لا يتوصل

---

[١] – من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه سنن الترمذي ج٣/ص٥٨٩/ ح١٢٩٥، وقال :"غريب" وقال في الأحاديث المختارة ج٦/ص١٨٢:"إسناده حسن"

[٢] – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه صحيح البخاري ج٣/ص١٠١٧/ح٢٦١٥/باب قول الله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ، صحيح مسلم ج١/ص٩٢/ ح٨٩ / باب بيان الكبائر وكبرها

إليه إلا بعبادة الشياطين والتقرب إليهم بمن يرضون به وبما يريدون من ذبح ونذر وسجود وغير ذلك "[1]

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)[2] ، وفي لفظ (من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) [3]

وعن عمران بن حصين–رضي الله عنه– مرفوعا (ليس منا من تطيرأو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) [4] . ففي هذه الأحاديث وما جاء في معناها دليل على كفر الكاهن والساحر والمصدق لهما ؛ لأنهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر ، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به وذلك كفر أيضا.

فالذهاب إلى الساحر محرم ، فإذا صدقه بما يدعي من علم الغيب فقد كفر ؛ لأن الغيب من الأمور التي اختص الله بعلمها ، وكذا يكفر إذا نفذ طلب الساحر بأن يذبح شيئا لغير الله لأن ذلك شرك أكبر

---

[1] – انظر مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٨/١٠٤

[2] – مسند البزار ج٩/ص٥٢/ ح ٣٥٧٨، قال المنذري في الترغيب والترهيب ج٤/ص١٧رواه البزار بإسناد جيد" وتقدم قول بن حجر تجويده لهذا السند ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٥/ص١١٧:"رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا اسحق بن الربيع وهو ثقة"

[3] – المستدرك على الصحيحين ج١/ص٤٩/ ح١٥/ وقال :"هذا حديث صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي

[4] – مسند البزار ج٩/ص٥٢/ ح ٣٥٧٨، قال المنذري في الترغيب والترهيب ج٤/ص١٧رواه البزار بإسناد جيد" وتقدم قول بن حجر تجويده لهذا السند ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٥/ص١١٧:"رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا اسحق بن الربيع وهو ثقة"

ثانيا : النشرة المشروعة

أما النشرة الجائزة فهي حل السحر بالرقية الشرعية ، والأدوية المباحة المجربة

وعندما سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى عن علاج السحر فقال مانصه :

لا شك أن السحر موجود ، وبعضه تخييل ، وأنه يقع ويؤثر بإذن الله عز وجل ، كما قال الله سبحانه وتعالى في حق السحرة : (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ – يعني الملكين– حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ

وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ)سورة البقرة الآية ١٠٢ ، فالسحر له تأثير ، ولكنه بإذن الله الكوني القدري ، إذ ما في الوجود من شيء إلا بقضاء الله وقدره سبحانه وتعالى ، ولكن هذا السحر له علاج وله دواء ، وقد وقع على النبي فخلصه الله منه وأنجاه من شره ، ووجدوا ما فعله الساحر ، فأخذ وأتلف ، فأبرأ الله نبيه من ذلك عليه الصلاة والسلام ، ثم ذكر طرق علاج السحر فقال:

١- إذا وجد ما فعله الساحر من تعقيد الخيوط أو ربط المسامير بعضها ببعض أو غير ذلك فإن ذلك يتلف ؛ لأن السحرة من شأنهم أن ينفثوا في العقد ويضربوا عليها لمقاصدهم الخبيثة ، فقد يتم ما أرادوا بإذن الله ، وقد يبطل ، فربنا على كل شيء قدير ، سبحانه وتعالى ،

٢- وتارة يعالج السحر بالقراءة سواء كان ذلك بقراءة المسحور نفسه ، إذا كان عقله سليما ، وتارة بقراءة غيره عليه ، فينفث عليه في صدره أو في أي عضو من أعضائه ويقرأ عليه الفاتحة ، وآية الكرسي ، (و قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) والمعوذتين ، وآيات السحر المعروفة من سورة الأعراف ، وسورة يونس ، وسورة طه ، من سورة الأعراف قوله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاعرين) سورة الأعراف من الآية ١١٧-١١٩ ، ومن سورة يونس قوله سبحانه : (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) الآيات ٧٩-٨٢ ، سورة يونس ، ومن سورة طه قوله سبحانه : (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) الآيات ٦٥-٦٩ سورة طه

ويقرأ أيضا سورة قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ إلى آخرها ، وسورة قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ والأولى أن يكرر سورة قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ والمعوذتين ثلاث مرات ، ثم يدعو له بالشفاء اللهم رب الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك شفاء لا يغادر سقما ، ويكرر هذا ثلاثا ، وهكذا يرقيه بقوله : بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، ومن شر كل نفس أو عين

حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك ، ويكررها ثلاثا ويدعو له بالشفاء والعافية وإن قال في رقيته : أعيذك بكلمات الله التامات من شر ما خلق وكررها ثلاثا فحسن ، كل هذا من الدواء المفيد.

وإن قرأ هذه الرقية والدعاء في ماء ثم شرب منه المسحور واغتسل بباقيه كان هذا من أسباب الشفاء والعافية بإذن الله.

وإن جعل في الماء سبع ورقات من السدر الأخضر بعد دقها كان هذا أيضا من أسباب الشفاء ، وقد جرب هذا كثيرا ونفع الله به ، وقد فعلناه مع كثير من الناس فنفعهم الله بذلك . فهذا دواء مفيد ونافع للمسحورين وهكذا ينفع هذا الدواء لمن حبس عن زوجته . لأن بعض الناس قد يحبس عن زوجته فلا يستطيع جماعها ، فإذا استعمل هذه الرقية وهذا الدعاء نفعه بإذن الله ، سواء قرأه على نفسه أو قرأه عليه غيره أو قرأه في ماء ثم شرب منه واغتسل بالباقي – كل هذا نافع بإذن الله للمسحور والمحبوس عن زوجته ، وهذه من الأسباب ، والله سبحانه وتعالى هو الشافي وحده ، وهو على كل شيء قدير ، بيده جل وعلا الدواء والداء ، وكل شيء بقضائه وقدره سبحانه ، وقد صح عن رسول الله أنه قال : ما أنزل داء إلا وأنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله وهذا فضل منه سبحانه وتعالى . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل [1] .

تنبيهان:

الأول : قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى:" ومن المهم جدا أن يكون المعالج والمعالج عندهما إيمان صادق ، وعندهما ثقة بالله ، وعلم بأنه سبحانه مصرف الأمور ، وأنه متى شاء شيئا كان ، وإذا لم يشأ لم يكن سبحانه وتعالى ، فالأمر بيده جل وعلا ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فعند الإيمان وعند الصدق مع الله من القارئ والمقروء عليه يزول المرض بإذن الله وبسرعة ، وتنفع الأدوية الحسية والمعنوية " [2]

[1] – أنظر مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٦/٢٨٨-٢٩٠

[2] – انظر مجموع فتاوى ومقالات متنوعة٨/٧٣

الثاني: قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى:" وليس من اللازم أن يشفى . لأنه ما كل مريض يشفى ، فقد يعالج المريض فيشفى إذا كان الأجل مؤخرا ، وقد لا يشفى ويموت في هذا المرض ، ولو عرض على أحذق الأطباء وأعلم الأطباء لأنه متى نزل الأجل لم ينفع الدواء ولا العلاج . وإنما ينفع الطب وينفع الدواء إذا لم يحضر الأجل وقدر الله للعبد الشفاء ، كذلك هذا الذي أصيب بالسحر قد . يكتب الله له الشفاء ، وقد لا يكتب له الشفاء . ابتلاء وامتحانا " [١]

كيف نتقي السحر؟

لقد قيل بإن الوقاية خير من العلاج ، ومن أعظم الأمور التي تقي من السحر بإذن الله مايلي:

أولا : الاعتصام بالأذكار المسائية والصباحية ، فهي حصن حصين من تحصن بها سلم ومن تلك الأذكار:

١- آية الكرسي فقد جاء في صحيح البخاري(إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح) [٢] .

٢- خاتمة القرة ، فقد جاء في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه) [٣] .

٣- وقال عليه الصلاة والسلام (من قال حين يصبح ثلاث مرات بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم تفجأه فاجئة بلاء حتى يمسي ومن قالها حين يمسي لم تفجأه فاجئة بلاء حتى يصبح) [٤]

---

[١] – انظرمجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٧٣/٧٠

[٢] – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج٤/ص١٩١٤/ ح٤٧٢٣/ باب فضل سورة البقرة.

[٣] – من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج٤/ص١٩١٤/ح٤٧٢٢/ باب فضل سورة البقرة ، صحيح مسلم ج١/ص٥٥٤/ح٨٠٧/ باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة.

[٤] – من حديث عثمان ابن عفان رضي الله عنه صحيح ابن حبان ج٣/ص١٣٢/ح٨٥٢ ، السنن الكبرى للنسائي ج٦/ص٧/ح٩٨٤٣، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج١/ص٧٢/ح٥٢٨

٤- وفي صحيح مسلم (قال عليه الصلاة والسلام (من نزل منزلا ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيءحتى يرتحل من منزله ذلك) [١].

٥- بالإضافة إلى المعوذات وهي سورة الإخلاص والناس والفلق ،وقد قال عليه الصلاة والسلام (لم يتعوذ بمثلهن أحد)[٢] ، فمن حافظ على هذه الأذكار وغيرها صباحا ومساءا فلن يصيبه شيء من ذلك بإذن الله تعالى.

ثانيا: ومن الأسباب التي تقي من السحر أيضا أن يأكل كل صبح سبع تمرات يبدأ بها نهاره قبل أن يتناول شيئا آخر، ويدل على ذلك: ماجاء في صحيح مسلم :(من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي) [٣] **قال الشيخ ابن باز** رحمه الله تعالى:" يعني : من جميع تمر المدينة ، العجوة وغير العجوة ، كما رواه مسلم في الصحيح ، ويرجى أن ينفع الله بذلك التمر كله ، لكن نص على المدينة؛ لفضل تمرها والخصوصية فيه ، ويرجى : أن الله ينفع ببقية التمر إذا تصبح بسبع تمرات ، وقد يكون كل ذكر ذلك لفضل خاص ، ومعلم خاص لتمر المدينة لا يمنع من وجود تلك الفائدة من أنواع التمر الأخرى التي أشار إليها عليه الصلاة والسلام ، وأظنه جاء في بعض الروايات : من تمر من غير قيد" [٤] .

قلت: جاء في رواية في الصحيحين عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال:(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصبح [٥] كل يوم سبع تمرات عجوة [٦] لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر) [١] . فقد أطلق ولم يقيده بتمر المدينة فدا على ماذكره الشيخ رحمه الله تعالى.

---

[١] – سبق تخريجه

[٢] – من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، السنن الكبرى للنسائي ج٤/ص٤٣٩/ح٧٨٤٦ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٤/ص١٤٤/ح١٧٣٣٧

[٣] – صحيح مسلم ج٣/ص١٦١٨/ح٢٠٤٧

[٤] – مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١٠٩/٨

[٥] – قال بن حجر في فتح الباري ج١٠/ص٢٣٨:"بمعنى التناول صباحا وأصل الصبوح والاصطباح تناول الشراب صبحا ثم استعمل في الأكل ومقابله الغبوق والاغتباق بالغين المعجمة"

[٦] – قال النووي في شرحه على صحيح مسلم ج١٤/ص٣:"والعجوة نوع جيد من التمر"

خاتمة في باب التوكل

الواجب أن يكون توكلنا دوما على الله لا على غيره ، وقد قال عليه الصلاة والسلام(من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل إليه) [٢]

وعن عيسى بن عبد الرحمن قال دخلنا على عبد الله بن عكيم وهو مريض نعوده فقيل له لو تعلقت شيئا فقال أتعلق شيئا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلق شيئا وكل إليه " [١]

---

[١] – صحيح البخاري ج٥/ص٢٠٧٥/٥١٣٠/باب العجوة ، صحيح مسلم ج٣/ص١٦١٨/ح٢٠٤٧/ صحيح مسلم ج٣/ص١٦١٨/باب فضل تمر المدينة

[٢] – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، السنن الكبرى للنسائي ج٢/ص٣٠٧/ح٣٥٤٢ قال بن حجر في تلخيص الحبير ج٤/ص٤١:"رواه النسائي وابن عدي في ترجمة عباد بن ميسرة عن الحسن عن علي" قال الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج٤/ص٤٤:"هذا الحديث لايصح للين عباد وانقطاعة"

أي من تعلق قلبه شيئا بحيث يتوكل عليه ويرجوه ، وكله الله إلى ذلك الشيء ، فإن تعلق العبد على ربه وإلهه وسيده ومولاه رب كل شيء ومليكه وكله إليه فكفاه ووقاه وحفظه وتولاه ونعم المولى ونعم النصير كما قال تعالى:﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ من الآية ٣ الطلاق. ، وقال سبحانه:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ من الآية ٢٣ المائدة .

وهذا التعلق هو روح الإيمان وخلاصة التوحيد فمن تعلق قلبه بغير الله يرجوه في دفع ضر أو جلب نفع فقد أشرك بالله أعظم الشرك ،وهكذا من تعلق بالسحر والشياطين وكله الله إليهم فأهلكوه في الدنيا والآخرة.

و خلاصة ذلك أن المشروع في التوكل هوالأخذ بالأسباب الصحيحة والمشروعة مع التوكل على الله أما من اعتمد على الأسباب فقط فهو مشرك ، أو اعتمد على أسباب فاسدة وغير شرعية ، فهذا أيضا من الشرك وقد تكون شركا أكبر أو أصغر بحسب مايقع في قلبه ، ومن توكل على الله وألغى الأسباب فهو جاهل مفرط مخطئ فالمطلوب شرعا هو الجمع بين التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب الشرعية الصحيحة.

---

(١) – مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٤/ص٣١٠/ح١٨٨٠٣، المستدرك على الصحيحين ج٤/ص٢٤١/ح٧٥٠٣ ، وسكت عنه الذهبي في التلخيص سنن الترمذي ج٤/ص٤٠٣/٢٠٧٢ ، وقال :"حديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وكان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يقول كتب إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٥/ص١٠٣:"رواه الطبراني في ترجمة أبي معبد الجهني في الكنى قال وقد قيل انه عبد الله بن عكيم قلت فان كان هو فقد ثبتت صحبته بقوله سمعت وفي اسناده محمد بن أبي ليلى وهو سيء الحفظ وبقية رجاله ثقات"

بسم الله الرحمن الرحيم

الكفر بالطاغوت

الحمد لله الذي نصب الكائنات على ربوبيته ووحدانيته حججا ، وأوجب الفوز بالنجاة لمن شهد له بالوحدانية شهادة لم يبغ لها عوجا، وجعل لمن لاذ به واتقاه من كل ضائقة مخرجا ، وأعقب من ضيق الشدائد وضنك الأوابد لمن توكل عليه فرجا، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ، فسبحان من أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، ورفع لمن ائتم به فأحل حلاله وحرم حرامه وعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه في مراقي السعادة درجا ، فإنه الذكر

الحكيم والصراط المستقيم والنبأ العظيم وحبل الله المتين المديد بينه وبين خلقه وعهده الذي من استمسك به فاز ونجا ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا سمي له ولا كفوا له ولا صاحبة له ولا ولدا ولا شبيه له ،ولا يحصي أحد ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه خلقه ، شهادة من أصبح قلبه بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته مبتهجا ، ولم يدع إلى شبه الجاحدين المعطلين معرجا ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده أرسله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين وحجة على العباد أجمعين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد

أيها الأخ المسلم

إذا علمت ، بأن دينك لايسلم إلا بالتوحيد الخالص من شائبة الشرك ، وعرفت أنك خلقت لعبادة الله وحده لاشريك له ، وعرفت أن العبادة شاملة ، لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، إذا عرفت هذا كله ، فإنه يتبقى عليك أن تعلم أمرا ،لاتكون مسلما معصوم الدم والمال ، إلا بمعرفته واعتقاده .

فلا يعصم دمك ومالك أن تقول لاإله إلا الله ، بل ولا يكفي أن تعرف معناها مع التلفظ بها ، بل ولا أن تقر بذلك ، بل ولا يكفي أن تخلص العبادة كلها لله ولا تشرك به شيئا ، إن ذلك كله لايجعل فاعله معصوم الدم والمال ، فهو إنما أتى بجزء من الدين، والدين كل لا يتجزء ، لابد منه جميعا .

فإذا أقررت بأن الله هو المستحق للعبادة وحده ، وأنه لامعبود بحق إلا الله، لزمك أمر آخر ليكمل الدين ، ألا وهو الكفر بالطاغوت والبراءة منه ومن أهله ، وهذا هو الذي تقتضيه شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

فماهو الطاغوت؟

أما تعريف الطاغوت فهو من جعله العبد ندا لله بعبادته ، أو باتباعه ، أو بطاعته، بمعنى أن العبد يجعل لهذا المخلوق منزلة فوق منزلته التي جعلها الله له ، فيجعله مثيلا ونظيرا لله ، في العبادة أو

في التشريع ، فعبادته لهذا المعبود ، وطاعته لهذا المطاع ، واتباعه لهذا المتبوع تكون طغيانا لأنه قد تجاوز الحد بإعطائه منزلة الألوهية لغير الله .

أقسام الطاغوت:

وعلى هذا فجنس الطاغوت لايخرج عن قسمين:

القسم الأول : طاغوت متبوع مطاع .

فالطاغوت المتبوع مثل الكهان ، والسحرة ، وكل من يدعي علم الغيب ، فمن اعتقد في أنهم قادرون على معرفة الغيب ، وأن لهم تصرفا في الكون فقد جعلهم أندادا لله ، وهذا يكون مشركا في توحيد الربوبية ، لأنه اعتقد بأن هناك من يتصرف في الكون مع الله سبحانه ، وعلم الغيب أمر يختص به سبحانه وقد قال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الآية ٦٥ سورة النمل ، وقال سبحانه :﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الآية ٢٦ الجن ،وقال سبحانه :﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ من الآية ٥٩ سورة الأنعام

والطاغوت المطاع: مثل من يحكم بغير ما أنزل الله ، وقد قال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ من الآية ٤٤ المائدة

ويدخل في الطاغوت المطاع علماء السوء الذين يقرون الكفر والشرك فلا ينكرونه بل قد يدعون إليه فإذا اتخذهم الإنسان أربابا من دون الله فيحلون ما حرم الله ، أو يحرمون ما أحل الله ، ويطيعهم في ذلك ، ويتبعهم عليه فإنه وإياهم في الحكم سواء ، فهو فقد جعلهم أنداد لله بقبوله لشرعهم المخالف لشرع الله والرضا به من دون شرع الله ، وأطاعهم في ذلك واتبعهم عليه

وقد قال سبحانه فيهم وفي أمثالهم:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

الآية ٣١ التوبة) فقد سمى الله طاعتهم لأحبارهم ورهبانهم عبادة لهم ، لأنه سماهم أربابا ، أي شركاء لله تعالى في العبادة ، فكل من أطاع مخلوقا واتبعه على غير ماشرعه الله ورسوله ، فقد اتخذه ربا معبودا ، وإن لم يسمه بذلك . وعندما قال عدي ابن حاتم رضي الله عنه وقد كان نصرانيا في الجاهلية يارسول الله ماكانوا يعبدونهم قال بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم [1]

القسم الثاني: طاغوت معبود من دون الله

والطاغوت المعبود مثل : ١- الأصنام . ٢- وكل من عبد من دون الله وهو راض بذلك. ٣- ومثل من دعا الناس لعبادة نفسه ، كالشيطان وفرعون ، والجن ومن نحى نحوهم .

فكل هؤلاء الأنداد من المعبودين ، والمطاعين ، والمتبوعين وأتباعهم في النار ، يدل على ذلك آيات كثيرة منها :

قوله تعالى للشيطان وأتباعه: ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ من الآية ١٨ الأعراف .

وقال عن فرعون:﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ الآية ٩٨ هود .

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الآية ٩٨ الأنبياء .

---

[1] -سنن البيهقي الكبرى ج١٠/ص١١٦/ ح ٢٠١٣٧، والطبراني في المعجم الكبير ج١٧/ص٩٢/ ح٢١٨، قال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ج٢/ص٦٦ :"رواه الترمذي ..وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام ابن حرب و عطيف بن أعين ليس بمعروف ، ورواه الثعلبي بهذا الإسناد ، وكذلك رواه الواقدي في كتاب الردة ، رواه ابن سعد في الطبقات في ترجمة عدي بن حاتم بسنده ومتنه ، ورواه أبو يعلي الموصلي في مسنده ، ورواه الطبراني في معجمه ، وابن أبي شيبة في مسنده والطبري في تفسيره بلفظ الترمذي ، ورواه البيهقي في كتاب المدخل بسند الترمذي ومتنه فزاد فيه فتلك عبادتهم ، ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث عمران القطان بلفظ المصنف " أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم "

وقال سبحانه :﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ الآيات٦٦-٦٨ الأحزاب .

وقال سبحانه :﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

الآيات ٩٤-٩٩ الشعراء

وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ من الآيات ٣١-٣٣ سبأ . فالنار هي المثوى لكل طاغوت ولكل من تبعه .

ولا يدخل في الطاغوت المعبود الأنبياء والملائكة والصالحون ، فهم ليسوا طواغيت وإن عبدوا من دون الله ، لأنهم لم يرضوا بذلك ولم يأمروا به ، وهم يوم القيامة يتبرؤون من عابديهم ، والدليل على ذلك آيات كثيرة منها :

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ ﴾ من الآية ١١٦ المائدة .

وقولـه سـبحانه: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الآيتـــان ٤٠، ٤١ سبأ

وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ الآيتان ١٧، ١٨ الفرقان

كيف يُكْفَر بالطاغوت ؟

أما كيف يكفر بالطاغوت ؟ فإن ذلك يكون بأن تعتقد ، اعتقادا جازما لاشك فيه ، ببطلان كل عبادة صرفت لغير الله ، وبأن كل من صرف شيئا من خالص حق الله لغيره فهو ضال مشرك ، وأن كل المعبودات سوى الله ، من قبور ، وقباب ، وبقاع ، وغيرها نشأت من جهل المشركين ، وخرافاتهم .

فمن أقرهم على ذلك ، أو شك ، أو تردد في بطلان ماهم عليه فليس بموحد ، وإن صلى وصام وزعم بأنه مسلم ، لأن هؤلاء المشركين هم أعدا ء لله ، حتى لو كانوا من الآباء والأمهات ، أو الأبناء والبنات ،

فلا يكفي أن تقول لاإله إلا الله ، ولا أعبد صنما ، ولا نبيا ولا وليا ، بل لابد أن تقول أيضا بأنني أكفر بكل مايعبد من دون الله ، وتعتقد ذلك بقلبك .

ماهو الدليل على أن عصمة الدم والمال لاتكون إلا بالكفر بالطاغوت ؟

أما الدليل على أن الكفر بالطاغوت شرط لعصمة الدم والمال فقد دل على ذلك الكتاب والسنة ، فمن الكتاب

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ من الآية ٣٦ النحل.

وقولــه ســبحانه :﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ الآية ٢٥٦ البقرة .

فمن لم يكفر بالطاغوت فليس بمؤمن ، وغير المؤمن غير معصوم في دمه ولا ماله.

وقال سبحانه :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾ الآية ٦٠ النساء

فهؤلاء لم يُكرهوا على التحاكم إلى الطاغوت ، بل هم أرادوا ذلك بقلوبهم ، وفضلوا حكم غير الله على حكم الله ، فقال : يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، أي بالطاغوت فدل ذلك على أن التحاكم إلى الطاغوت مناف للايمان مضاد له فلا يصح الايمان إلا بالكفر بالطاغوت وترك التحاكم إليه فمن لم يكفر بالطاغوت لم يؤمن بالله .

ماهو الدليل على أن الكفر بالطاغوت هو النصف الثاني من شهادة التوحيد؟

شهادة لاإله إلا الله تنقسم إلى نفي وإثبات ، فإذا صرفت العبادة كلها لله وأقررت بأنه المستحق وحده للعبادة تكون قد قمت بنصف الشهادة وهي قولك (إلا الله) وتبقى النصف الثاني منها وهو قولك لاإله ، فهذا يقتضي منك الكفر بكل مايعبد من دون الله وقد جاء في ذلك آيات كثيرة منها:

١- قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ ﴾ من الآية ٢٥٦ البقرة . فقوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت) هو معنى النفي في القسم الأول من الشهادة(لاإله) وقوله (ويؤمن بالله) هو معنى الإثبات في القسم الثاني من الشهادة (إلا الله)

٢- ثوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ ﴾ الآيتان ٢٦، ٢٧ الزخرف . فقوله (إنني براء مما تعبدون) هذا هو معنى النفي في القسم الأول من الشهادة (لاإله) ، وقوله (إلا الذي فطرني) هو معنى الإثبات في القسم الثاني من الشهادة (إلا الله)

٣- وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ﴾ الآيات ٧٥-٧٧ الشعراء، فقوله(فإنهم عدو لي) هذا هو معنى النفي في القسم الأول من الشهادة (لاإله) ، وقوله (إلا رب العالمين) هذا هو معنى الإثبات في القسم الثاني من الشهادة (إلا الله)

ويوضح ذلك قوله عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم: (من قال لاإله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه) [1]، فاشترط لحرمة الدم والمال شرطين لابد منهما :

[1] – صحيح مسلم ج١/ص٥٣/ ح٢٣/ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ووكلت سريرته إلى الله تعالى وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام واهتمام الإمام بشعائر الإسلام

الشرط الأول منهما أن تقول لاإله إلا الله ، وهذا لايعني أن تقولها باللسان دون أن تفعل ما يترتب عليها ، فقد أجمع العلماء على أن من قال لاإله إلا الله ولم يعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات.

الشرط الثاني لعصمة الدم والمال : الذي جاء في الحديث :وهو قوله (و أن تكفر بما يعبد من دون الله)

قال الشيح محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بعد أن ذكر هذا الحديث:" وهذا من أعظم ما يبين معنى "لا إله إلا الله" فإنه لم يجعل التلفُّظَ بها عاصِماً للدَّم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لَفْظها ، بل ولا الإقرارَ بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يَحْرُمُ ماله ودمُه حتى يُضِيفَ إلى ذلك الكفْرَ بما يعْبُدُ من دون الله . فإن شَكَّ أو توقّفَ لم يَحْرُمْ ماله ودمُه . فيالها من مسألةٍ ما أعْظَمها وأجَلّها ، ويالَهُ من بيانٍ ما أوْضَحَهُ ، وحجّةٍ ما أقطَعَهَا للمنازع" [1]

وقال رحمه الله تعالى في إحدى رسائله :" فالنهي عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت ولا إله إلا الله الإيمان بالله وهذا وإن كان متلازما فيوضحه لكم الواقع وهو أن كثيرا من الناس يقول لا أعبد إلا الله وأنا أشهد بكذا وأقر بكذا ويكثر الكلام فإذا قيل له ما تقول في فلان وفلان إذا عَبدا أو عُبدا من دون الله قال ما علي من الناس الله أعلم بحالهم ويظن بباطنه أن ذلك لا يجب عليه" [2]

وكم من أناس قد أخفقوا في تحقيق هذا الشرط ؟

وكم من أناس يدَّعون الإسلام، يظنون بأن دين النصارى أو اليهود دين صحيح لابأس بالتدين به ، أو أن دينهم مقبول عند الله ، ومن يعتقد ذلك فقد كفر ؛ لأنه قد سوى غير دين الإسلام مع الإسلام ، وهو يهذا مكذب لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ

---

[1] – انظر مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٧/٦ / من كتاب التوحيد / باب تفسير التوحيد وشهادة أن لاإله إلا الله.

[2] – انظر مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب/ ٩٠/٣/ الرسائل الشخصية / الرسالة الثالثة والعشرون.

ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الآية ٨٥ آل عمران . ومكذب لقوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾ من الآية ٧٢ المائدة. ومكذب لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ ﴾ من الآية ٧٣ المائدة . ومكذب لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ الآية ٦ البينة.

وهو مكذب لقوله عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[1] . فكل دين سوى الإسلام صاحبه خاسر ، خالد في النار لايخرج منها أبدا الآباد ، سواء كان يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا أو بوذيا أو أي دين ، فهذه الشريعة ناسخة لسائر الأديان فلادين يقبل عند الله سوى الإسلام ، فمن اعتقد غير ذلك فقد كفر.

وكم من أناس بدَّعون أنهم يكفرون بالطاغوت ، وهم يتحاكمون إليه ، ويرضون حكمه ، ويجعلونه كحكم الله ، بل إن بعضهم قد يفضل التحاكم إليه دون التحاكم إلى الله ورسوله ، وقد قال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ الآية ٦٥ النساء

وكم من أناس يدَّعون الكفر بالطاغوت ، وهم يوادون المشركين بالله الشرك الأكبر، وأي شرك أكبر من دعاء الأموات والنذر لهم ، والذبح لهم . ومع ذلك ، فيناكحونهم ، ويوادونهم ، ويزعمون أنههم من

[1] – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، صحيح مسلم ج١/ص١٣٤/ح ١٥٣/باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته

المسلمين ، ولا والله ماهم بمسلمين ، فهم وإياهم سواء ، وإن صلوا وصاموا وادعوا الإسلام ، لأن من رضي بالكفر فهو كافر .

فيا أيها ألأخ المسلم : إن الإيمان بالله بقتضي منك أن توالي أهل التوحيد وتحبهم مهما كان جنسهم أو لونهم ، ومهما بعدوا ، والكفر بالطاغوت يقتضي منك أن تبغض أهل الشرك وتعاديهم مهما كان لونهم أو جنسهم ومهما قربوا ، أبا أو أما أو ابنا أو أخا ، وقد أمرك الله بذلك في آيات كثيرة منها :

قولـه تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ من الآية١ س الممتحنة .

وقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الآية ٢٣ التوبة .

وقولـه سـبحانه : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ ﴾ من الآية ٢٢ المجادلة.

فلابد من البراءة من الشرك وأهله ، ولو كان هذا المشرك أبوك أو أخوك أوابنك، نعم إنه يجب عليك أولا أن تبين لهم الحق وتدعوهم إليه وتجتهد وسعك في ذلك ، فإن أبوا إلا الشرك ، ودعاء الأموات والاستغاثة بهم والذبح لهم والنذر لهم ، فأعلن لهم العداوة والبغضاء ، واهجرهم ، أما الوالدين فصاحبهما في الدنيا معروفا ، ولكن لاتطعهما في معصية الله كما قال سبحانه : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِى مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ الآية ٨ العنكـوت. وقـال سـبحانه : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِى مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الآية ١٥ لقمان .

وإذا مات أحد منهم على شركه، فليس لك أن تصلي عليه أو تستغفر له لأنه مات مشركا بالله تعالى ، والله سبحانه قد حرم على رسوله وعلى المؤمنين بأن يدعى لهؤلاء المشركين بالمغفرة مهما كانت قرابتهم

فقال سبحانه :﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ الآية ١١٣ التوبة .

فهذه هي ملة إبراهيم ، التي سفه نفسه من رغب عنها ، وهذه هي الأسوة ، التي أخبر الله بها في قوله تعالى :﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ الآية ٤ الممتحنة

ففي هذه الآية بيان بأن البراءة من الكفار تقتضي عدم الاستغفار لهم . أما استثناء إبراهيم عليه الصلاة والسلام من ذلك فإنما كان ذلك في حياة أبيه ، وقد بين الله ذلك في سورة التوبة ، فقد قال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ الآيتان ١١٣-١١٤ سورة التوبة ، وقد ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى -في ٢/ص ٣٧٧ -عن أأمة التفسير كابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وقتادة ومجاهد وغيرهم أن إبراهيم كان يستغفر لأبيه في حياته فلما مات على الكفر تبرأ منه .

مسألة مهمة : هل يمكن أن تجتمع محبة الكافر مع البراءة منه ؟

إن عقيدة الولاء والبراء تقتضي بغض الكفار ، وعدواتهم ، ولكن العداواة والبغض تختصان بكل ما يتعلق بالدين ، دون غيره ، وبناء على ذلك ، فإن البغض ، والعداوة لهم ، لاتعني ظلمهم ، ولا تعني بخس حقوقهم ، ولاتعني نقض عهودهم ، ولا تعني عدم الإحسان إليهم ، ولاتعني غشهم ، أو خيانتهم ، أو الغدر بهم . فهذا هو الفهم الخاطئ لعقيدة الولاء والبراء.

وكثير من الناس لا يتصور وجود المحبة للكافر البتة ، ويظنون أن محبة الكافر –المحبة الطبيعية– تنافي البراءة من الكفر وهذا خطأ؛ لأن هذا الكافر قد يكون ابنا ، وقد يكون أبا ، وقد تكون أما ، وقد تكون زوجة ؛ فهل يعتقد أحد بأن الله قد كلفنا بغضهم بمعنى أن نكرههم الكره الذي لايصح اجتماعه مع المحبة؟ .فلو كان الجواب بنعم ، لكان هذا تكليفا بما لايطاق ؛ لأنه لايمكن أن تنزع محبة الانسان لابنه التي فطره الله عليها ، وإن كان هذا الابن كافرا ، وكذلك الحال بالنسبة للابن مع أبيه لو كان الأب كافرا . وقد قال سبحانه وتعالى للرسول عليه الصلاة والسلام في قصته مع عمه أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ من الآية ٥٦ سورة القصص، فقد أثبت محبته لعمه ، وهذا لاينافي براءته من الكفار ، ونهاه عن الاستغفار لوالديه ، ومع هذا فقد أذن له بزيارة قبر أمه ، وهذا لاينافي براءته من الكفار.

فالمودة المنهي عنها هي في حقيقتها بمعنى التولي وليس بمعنى المحبة الطبيعية التي يجدها الإنسان في نفسه .

فالبغض ،والعداوة المطلوبة من المسلم للكافر هي التي تختص بالدين ، فإنك رغم محبتك له تعلم ، وتعتقد أنه ضال ، وأنه لو مات على ذلك كان من أصحاب النار ، وتقتضي البراءة منه أيضا أن لاتجامله في أي أمر من أمور الدين ، فلا يجوز لهذه المحبة أن تكون سببا في طاعتك له في أمر يخالف الدين ، ولذا فإن الله وصف الزوجة والولد بالعدو ، وحذرنا من ذلك ،كما في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [1] قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرا عن الأزواج

[1] – سورة التغابن آية ١٤

والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والوالد بمعنى أنه يلتهي به عن العمل الصالح كقوله تعالى" يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون" ولهذا قال تعالى ها هنا " فاحذروهم" قال ابن زيد: يعني على دينكم ، وقال مجاهد:إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم قال يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه [1] .

الشرك الأصغر

[1] – أنظر تفسير ابن كثير ج٤/ص٣٧٧

ماهو موقع الشرك الأصغر من الذنوب؟

هوأكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر، فهو أكبرمن الزنا ، وأكبر من شرب الخمر وأكبر من الربا ، بل وأكبر من كل كبيرة ، فهو يأتي في عظم الذنب مباشرة بعد الشرك الأكبر ، بل إن بعض مرتكبي هذا الذنب هم أول من تسعر بهم نار جهنم يوم القيامة ومع ذلك فقل من يسلم منه ، وكثير من الناس يقعون فيه ، وهم لايشعرون .

ماهو الفرق بين الشرك الأكبر ، والشرك الأصغر؟

يتفق مع الشرك الأكبر في أمرين :

الأول: في الاسم ، فهو شرك من حيث المسمى.

الثاني: في أنه قد يدخل في عموم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ من الآية ٤٨ النساء، فيكون كالشرك الأكبر من حيث أنه لايغفر إذا مات صاحبه وهو لم يتب منه ، وهذا هو رأي شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى.

ويختلف عن الشرك الأكبر أن صاحبه لا يخلد في النار ، فعلى القول بأنه داخل في عموم الآية فإن صاحبه لايخلد في النار ، وعلى القول بأنه لايدخل في عموم الآية فيكون تحت المشيئة كسائر المعاصي ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه وهذا هو رأي الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى .

ما هو الشرك الأصغر ؟

الشرك الأصغر يمكن حصره في موضعين:

الأول: كل مانهى عنه الشرع مما يعد ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه كاتخاذ القبور مساجد أو البناء عليها.

الثاني: كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنه لا يخرج من الملة.

ماهي أقسام الشرك الأصغر؟

ينقسم الشرك الأصغر إلى قسمين شرك في الأعمال ، وشرك في الأقوال:

أولا : الشرك الأصغر في الأفعال

وشرك الأفعال قسمان:

الأول :شرك خفي ويسمى شرك السرائر، ويسمى أيضا شرك الإرادات لأن هذه الأعمال ظاهرها لله ولكن صاحبها أراد بها أمرا آخر .

الثاني: شرك ظاهر كلبس الحلقة والخيط لرفع البلاد ودفعه ، ومثل تعليق التمائم .

بيان القسم الأول من الشرك الأصغر في الأفعال

الشرك الخفي ويسمى أيضا : شرك السرائر ، شرك الإرادات

ومن أهم مافسر به الشرك الخفي، الذي هو شرك السرائر أنه الرياء.

فماهو الرياء؟

الرياء هو أن يعمل الشخص عملا مما يُبتغى به وجه الله كالصلاة والزكاة وغيرها من العبادات ؛ من أجل الله ، ولكنه يريد مع ذلك مدح الناس أو يريد عرضا من الدنيا ، مثل أن يقوم الإنسان يصلي الله عز وجل ولكنه يزين صلاته ؛ لأنه يعلم أن أحدا من الناس ينظر إليه فيزين صلاته من أجل مراءاة الناس ، أو يطيل في الصلاة أحيانا ليراه الناس ، فهذا قد أشرك شركا أصغر لأنه فعل العبادة لله لكن أدخل عليها هذا التزيين مراءاة للخلق ، ومثل أن يرفع صوته بالقراءة والذكر أحيانا ليسمعه الناس فيحمدوه ، وكذلك لو أنفق ماله في شيء يتقرب به إلى الله لكنه أراد أن يمدحه الناس بذلك فإنه قد أشرك شركا أصغر .

ما الدليل على أن الرياء شرك ؟

أما الدليل على أن الرياء شرك أصغر فمن ذلك

قوله عليه الصلاة والسلام: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يارسول الله وما لشرك الأصغر قال الرياء ،يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم إذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء) [1]

وعن يعلى بن شداد بن أوس عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال:(كنا نعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرياء الشرك الأصغر) [2]

وهوكذلك الشرك الخفي بدليل قوله عليه الصلاة والسلام : (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال قالوا بلى قال الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل) [1] وفي لفظ (الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكان الرجل) [2]

---

[1] – من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٥/ص٤٢٨/ح٢٣٦٨٠

[2] – مسند البزار ج٨/ص٤٠٦/ح٣٤٨١ ، المستدرك على الصحيحين ج٤/ص٣٦٥/ ح٧٩٣٧ ، وقال :" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ، ووافقه الذهبي في التلخيص

لماذا سُمِّيَ الرياء شركا خفيا؟ ، ومالفرق بينه وبين والشرك الجلي؟

سمي الرياء شركا خفيا ؛ لأن صاحبه يظهر أن عمله لله ويخفي في قلبه أنه لغيره وإنما تزين باظهاره أنه لله وقد يكون شركا أكبر ، وقد يكون شركا أصغر كما سيأتي بيانه.

أما الشرك الجلي: كمن يدعون الأوثان والأولياء من دون الله، أو ينذرون لهم فهذ الشرك من الشرك الأكبر الجلي الواضح ، وهناك الشرك الجلي الأصغر ، كلبس الحلقة والخيط لرفع البلاد ودفعه ، ومثل تعليق التمائم ..

هل هناك فرق بين الرياء والسمعة ؟

جاء في الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم (من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به) [٢]

أما الرياء فكما تقدم بيانه: بأنه إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدون صاحبها.

والسمعة كالرياء في المعنى ، لكنها تتعلق بحاسة السمع ، والرياء يتعلق بحاسة البصر .

وقيل الرياء أن يعمل لغير الله ، والسمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس.

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال :(قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن) [٤]، وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه (أن رجلا قال يا رسول الله إن الرجل يعمل العمل ويسره فإذا اطلع عليه سره قال له أجران أجر السر وأجر العلانية) [٥] ثم قال ابن حبان "قوله إن الرجل يعمل العمل ويسره فإذا اطلع عليه سره معناه أنه يسره أن الله وفقه لذلك العمل فعسى يستن به فيه فإذا كان

---

[١] – من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٣/ص٣٠/ح١١٢٧٠، سنن ابن ماجه ج٢/ص١٤٠٦/ح٤٢٠٤،

[٢] – المستدرك على الصحيحين ج٤/ص٣٦٥/ ح٧٩٣٦ ، وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي في التلخيص

[٣] – من حديث جندب العلقي رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج٥/ص٢٣٨٣/ح٦١٣٤/باب الرياء والسمعة ، صحيح مسلم ج٤/ص٢٢٨٩/ح٢٩٨٧ / باب من أشرك في عمله غير الله وفي نسخة باب تحريم الرياء

[٤] –صحيح مسلم ج٤/ص٢٠٣٤/ ح٢٦٤٢/باب إذا أثنى على الصالح فهي بشرى ولا تضره

[٥] –صحيح ابن حبان ج٢/ص٩٩/ ح٣٧٥

كذلك كتب له أجران وإذا سره ذلك لتعظيم الناس إياه أو ميلهم إليه كان ذلك ضربا من الرياء لا يكون له أجران ولا أجر واحد" [1]

هل يمكن أن يكون الرياء شركا أكبر؟

الرياء درجات ، فقد يكون شركا أكبر إذا قصد بعمله هذا الدنيا فقط أو الناس فقط ، وقد يكون شركا أصغر إذا أراد بعمله الأمرين معا وبين هاتين الدرجتين درجات لايعلمها إلا الله ، فإن الإخلاص التام الذي لايشوبه شيء أمر نادر في الوجود ، ولكل درجات مما عملوا .

والرياء قد أطلق في كتاب الله كثيرا ويراد به النفاق الذي هو أعظم الكفر ومن ذلك قوله تعالى:﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ من الآية ٢٦٤ البقرة ، وقوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ من الآية ٣٨ النساء ، وقوله تعالى : ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ من الآية ١٤٢ النساء

كيف يتم التفريق بين الرياء في كونه شركا أكبر ، أو شركا أصغر؟

جاء في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [1]

[1] –صحيح ابن حبان ج٢/ص٩٩

وجاء في الصحيحين (أن رجلا أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله) [٢] .

فالنية هي التي تبين العمل في تعيينه وفيما يراد به ، فإن كان قصده من العمل هو إرادة الله والدار الآخرة وسلم من الرياء في فعله ، وكان موافقا للشرع فذلك العمل الصالح المقبول ، وإن كان قصده من العمل هو إرادة غير الله عز وجل فذلك النفاق الأكبر ، سواء في ذلك من يريد به جاها ورئاسة وطلب دنيا،أومن يريد حقن دمه وعصمة ماله فيتظاهر بالإسلام من أجل ذلك فهذا هو النفاق الأكبر .

أما إذا كان االقصد من العمل هو إرادةالله والدار الآخرة ولكن دخل عليه الرياء في تزيينه وتحسينه فذلك الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر وفسره بالرياء العملي وزاده إيضاحا بقوله في الحديث المتقدم (يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه) وهذا ينقص من العمل بقدره وقد يحبط العمل كلية .

هل هذه الصور من الرياء؟

---

[١] – صحيح البخاري ج١/ص٣/ح١ / باب بدء الوحي ، صحيح مسلم ج٣/ص١٥١٥/ ح١٩٠٧/ باب قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال

[٢] – من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج٣/ص١٠٣٤/ ح٢٦٥٥/ باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، صحيح مسلم ج٣/ص١٥١٢/ح١٩٠٤ / باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله

الصورة الأولى : إذا كان العامل يعمل جميع الأعمال التي تعمل من أجل الآخرة كالصلاة والزكاة والحج وغيرها من أجل مراءاة الناس ولولا الناس لما عملها فهذا هو النفاق الأكبر وصاحبه في الدرك الأسفل من النار.

الصورة الثانية: إذا كان يعمل بعض الأعمال كقراءة القرآن أو إطالة الصلاة ونحو ذلك لمراءاة الناس فقط فيحبط عمله الذي صاحبه الرياء ، وهو شرك أصغر.

الصورة الثالثة: إذا عرض له الرياء وهو في صلاته مثلا فإن أعجبه ذلك ورضي به فصار همه أن يرى وهو يعمل هذا العمل نقص أجره وربما حبط جميع العمل ، أما ذا جاهده ولم يرض به فلا شيء عليه وله ثواب عمله.

الصورة الرابعة : إذا أراد بعمله وجه الله مع إرادة المراءاة فعمله كذلك حابط ، ومن الأدلة على ذلك من الكتاب : قوله تعالى :﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ من الآية ١١٠ الكهف.

ومن السنة :

١- ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) [١] .

٢- حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه (أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشيء له فأعادها عليه ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشيء له ثم قال إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه) [٢]

صور أخرى:

[١] – صحيح مسلم ج٤/ص٢٢٨٩/ح٢٩٨٥/باب من أشرك في عمله غير الله وفي نسخة باب تحريم الرياء

[٢] – السنن الكبرى للنسائي ج٣/ص١٨/ح٤٣٤٨

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ الآية ١٨ الإسراء، وقال سبحانه:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ الآية ٢٠ الشورى.

وقال سبحانه :﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الآيتان ١٥-١٦ هود

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : ويدخل في معنى هذه الآية أنواع مما يفعله كثير من الناس اليوم ولا يعرفون معناه :

النوع الأول: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلاة وإحسان الى الناس وترك ظلم ونحو ذلك مما يفعله الانسان أو يتركه خالصا لله ، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته أو حفظه أهله وعياله أو إدامة النعم عليهم ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار ، فهذا يعطي ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب ، وقد ظن بعض الناس أن هذا الباب داخل في الرياء وهذا خطأ بل المراد بهذا أن يعمل الانسان عملا صالحا يريد به الدنيا وهو كمن ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري حيث قال: (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش) [1] ، فهذا الذي يعمل العمل الصالح يريد به الدنيا كالذي يجاهد للقطيفة والخميلة ونحو ذلك ؛ ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبدا لذلك ، بخلاف المرائي فإنه إنما يعمل ليراه الناس ويعظموه ، وقوله تعس أي سقط والمراد هنا هلك وهو ضد سعد أي شقي ، قوله وانتكس أي عاوده المرض أي انقلب على رأسه ، وقوله وإذا شيك فلا انتقش والمعنى إذا أصابته الشوكة فلا وجد

[1] – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج٣/ص١٠٥٧/ ح٢٧٣٠/ باب الحراسة في الغزو في سبيل الله

من يخرجها منه بالمنقاش. وهو دعاء عليه بالخيبة والخسران ؛ لأن من انتكس في أمره فقد خاب وخسر . والمعنى أنه إذا وقع في البلاء لا يترحم عليه. فإن من وقع في البلاء اذا ترحم له الناس ربما هان الخطب عليه ، ويتسلى بعض التسلي وهؤلاء يزيد غيظهم بفرح الأعداء أو شماتتهم ، وهذه حال من عبد المال فلما كان الدرهم أو الدينار هو مقصوده ومطلوبه الذي عمل له وسعى في تحصيله بكل ممكن حتى صارت نيته مقصورة عليه يغضب ويرضى له صار عبدا له ، وهكذا حال من كان متعلقا برئاسة أو بصورة او نحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي وإن لم يحصل له سخط فهذا عبد ما يهواه من ذلك ، وهو رقيق له ؛ لأن الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده فهو عبده .

وهكذا أيضا طالب المال فإن ذلك يستعبده ويجعله رقيقيا له ، فإن أعطي رضي وإن منع سخط كما قال تعالى:(﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الآية ٥٨ التوبة. فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله .

النوع الثاني: وهناك معنى آخر يدخل في الآية وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة ، وتقدم هذا في الصور السابقة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالا صالحة يقصد بها مالا مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها أو يجاهد لأجل الغنم وهذا تقدم ذكره في الصور السابقة ، ويدخل في ذلك من يتعلم لأجل مدرسة أهله أو مكتبهم أو رياستهم أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيرا .

وبالمقارنة بين هذه الأنواع الثلاثة نجد أن الذي يعمل لأجل الدراهم والقطيفة ونحو ذلك أعقل من المرائي لأن ذلك عمل لدنيا يصيبها والمرائي عمل لأجل المدح والجلالة في أعين الناس أو خوفا من الناس لعصمة دمه وماله وكلاهما خاسر نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه .

والنوع الأول الذين عملو لله من أجل أن يتم عليهم نعمه ولم يريدوا جنة ولا نارا أعقل من هؤلاء الذين عملوا من أجل الدنيا لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له لكنهم لم يطلبوا منه الخير الكثير الدائم وهو الجنة ولم يهربوا من الشر العظيم وهو النار

النوع الرابع: الذي يدخل في معنى الآية أن يعمل العامل بطاعة الله مخلصا في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفره كفرا يخرجه عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله او تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية اذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم فإنهم يعطون ثوابهم على هذه الأعمال في الدنيا وليس لهم في الآخرة إلا النار .

النوع الخامس : وهو الذي يؤدي الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبا ثواب الآخرة ثم بعد ذلك عمل أعمالا قاصدا بها الدنيا مثل أن يحج فرضه لله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع فهو لما غلب عليه منهما ، فإن غلب قصد الآخرة على قصد الدنيا فهو مثاب ، وإن غلب قصد الدنيا على قصد الآخرة فهو معاقب ، وقد قال بعضهم بأن القرآن كثيرا ما يذكر أهل الجنة الخلص وأهل النار الخلص ويسكت عن صاحب الشائبتين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، فهذا النوع الأخير كصاحب الشائبتين [1].

[1] – انظر مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٦/١٠١-١٠٣ ، وانظر رسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ج٢/ ٣٧٩

قيل في الرياء

لا تمد القوس وما لها وتر كم بذل نفسه مراء ليمدحه الخلق فذهبت نفسه فانقلب المدح ذما ولو بذلها لله لبقيت ما بقى الدهر عمل المرائي بصلة كلها قشور المرائي يحشو جراب أزواده رملا يثقله في الطريق وما ينفعه.

ريح الرياء جيفه تتجافاها مشام القلوب ، لما أخذ دود القز ينسج اقبلت العنكبوت تشبهه وقالت لك نسج ولي نسج فقالت دودة القز ولكن نسيجي اردية الملوك ونسجك شبكة الذباب وعند مس الحاجة يتبين الفرق إذا اشتبكت دموع في خدود * تبين من بكى ممن تباكى ، شجرة الصنوبر تثمر في ثلاثين سنه وشجرة الدباء تصعد في اسبوعين فتقول شجرة الدباء للصنوبرة إن الطريق التي قطعتها في ثلاثين سنة قطعتها في أسبوعين ويقال لي شجرة ولك شجرة فقالت لها الصنوبرة مهلا حتى تهب رياح الخريف فإن ثبت لها تم فخرك

شجرة الإخلاص أصلها ثابت لا يضرها زعازع اين شركائي الذي كنتم تزعمون وأما شجرة الدباء فإنها تجتث عند نسمة من كان يعبد شيئا فليتبعه.

رياء المرائين صير مسجد الضرار مزبلة وخربة فقال سبحانه لا تقم فيه ابدا

خاتمة عن الرياء

الرياء من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة ، فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات ، عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح ، فطلبت الاستراحة إلى الظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ، فلم تقنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى ، وفرحت بحمد الناس ، ولم تقنع بحمد الله وحده ، فأحببت مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل ، فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات وأعظم الشهوات ، وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعباداته ، وإنما حياته لهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة ، فقد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا من رحم الله .

والرياء يحتاج إلى علاج شديد ، وتمرين للنفس على الإخلاص ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة والاستعانة بالله على دفعها لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده.

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار) [1]

[1] – صحيح مسلم ج٣/ص١٥١٣/ح١٩٠٥/باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار

وأخرج الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة قال:(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربع مائة مرة قيل يا رسول الله ومن يدخلها قال القراء المراؤون بأعمالهم) [1].

[1] –سنن الترمذي ج٤/ص٥٩٣/ح٢٣٨٣، وقال :"حسن غريب" ، سنن ابن ماجه ج١/ص٩٤/ح٢٥٦

بيان القسم الثاني من الشرك الأصغر في الأفعال

وهو الشرك الظاهر كلبس الحلقة والخيط لرفع البلاد ودفعه ، ومثل تعليق التمائم .

أنواع التمائم

النوع الأول : إذا كانت التميمة من غير الكتاب والسنة بل من طلاسم اليهود وعباد الهياكل والنجوم والملائكة ومستخدمي الجن ونحوهم ، أو من الخرز أو الأوتار أو الحلق من الحديد وغيرها فهي شرك أكبر بلا شك ؛ لأنها ليست سببا مباحا ولا معروفا كالأدوية المعروفة ، بل اعتقدوا فيها اعتقادا محضا أنها تدفع كذا وكذا من الآلام لذاتها ، لخصوصية زعموا فيها كاعتقاد أهل الأوثان في أوثانهم .

النوع الثاني: إذا كانت التميمة من القرآن وأسماء الله وصفاته فقد وقع فيه الخلاف بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم : فقالت طائفة يجوز ذلك وقالوا بأن النهي مقصود به التمائم الشركية أما التي فيها القرآن وأسماء الله وصفاته فهي كالرقية

وقال أكثر الصحابة لا يجوز ذلك واحتجوا بما يلي:

١- بقوله صلى الله عليه وسلم (من تعلق تميمة فقد أشرك) [١]

٢- وبقوله عليه الصلاة والسلام(من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له) [٢]

٣- وبحديث عمران بن حصين–رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال ماهذا قال من الواهنة فقال إنزعها فإنها لاتزيدك إلا وهنا فإنك لو مت وهي عليك ماأفلحت أبدا) [٣]

---

[١] – سبق تخريجه

[٢] – سبق تخريجه

[٣] –صحيح ابن حبان ج١٣/ص٤٤٩/ح٦٠٨٥ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٤/ص٤٤٥/ح٢٠٠١٤، سنن ابن ماجه ٢/ص١١٦٧/ح٣٥٣١ ،المستدرك على الصحيحين ج٤/ص٢٤٠/ ح٧٥٠٢وقال :"صحيح الإسناد ولم يخرجاه"ووافقه الذهبي في التلخيص

٤- وعن عيسى بن عبد الرحمن قال دخلنا على عبد الله بن عكيم وهو مريض نعوده فقيل له لو تعلقت شيئا فقال أتعلق شيئا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلق شيئا وكل إليه " [١]

وجه الاستدلال : أن هذه الأحاديث ومافي معناها لم تفرق بين التي من القرآن وغيرها.

وهذا القول هو الصحيح الذي رجحه أهل التحقيق من العلماء ومنهم الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله تعالى لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل:

١- عموم النهي ولا مخصص للعموم.

٢- سدا للذريعة فإنه يفضي إلى تعليق ماليس من القرآن.

٣- أنه إذا علق فلابد أن يمتهنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك ولا شك في أن ذلك امتهان لكلام الله سبحانه ولأسمائه ولصفاته .

ويؤيد ذلك أن الصحابة الذين رووا هذه الأحاديث فهموا العموم .

وأما القياس على الرقية بذلك فهو قياس مع الفارق، فكيف يقاس التعليق الذي لا بد فيه من ورق أو جلود ونحوهما على مالا يوجد ذلك فيه

وإذا كان أكثر الصحابة والتابعين قد كرهوا تعليق التمائم مع كونهم في تلك القرون المفضلة والإيمان في قلوبهم أمثال الجبال ، فلأن يكره في وقتنا هذا وقت الفتن والمحن أولى وأجدر بذلك ، كيف وهم قد توصلوا بهذه الرخص إلى محض المحرمات وجعلوها حيلة ووسيلة إليها.

فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آية أو سورة أو بسملة أو نحو ذلك ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلا من اطلع على كتبهم.

ومنها أنهم يصرفون قلوب العامة عن التوكل على الله عز وجل إلى أن تتعلق قلوبهم بما كتبوه بل أكثرهم يرجفون بهم ولم يكن قد أصابهم شيء فيأتي أحدهم إلى من أراد أن يحتال على أخذ ماله مع علمه أنه قد أولع به فيقول له إنه سيصيبك في أهلك أو في مالك أو في نفسك كذا وكذا.

---

[١] - سبق تخريجه

و يقول له إن معك قرينا من الجن أو نحو ذلك ويصف له أشياء ومقدمات من الوسوسة الشيطانية موهما أنه صادق الفراسة فيه شديد الشفقة عليه حريص على جلب النفع إليه ، فإذا امتلأ قلب الغبي الجاهل خوفا مما وصف له، حينئذ أعرض عن ربه وأقبل على ذلك الدجال بقلبه وقالبه ، والتجأ إليه وعول عليه دون الله عز وجل ، وقال له فما المخرج مما وصفت وما الحيلة في دفعه؟ كأنما بيده الضر والنفع فعند ذلك يتحقق فيه أمله ويعظم طمعه فيما عسى أن يبذله له ، فيقول له إنك إن أعطيتني كذا وكذا كتبت لك من ذلك حجابا طوله كذا وعرضه كذا ويصف له ويزخرف له في القول وهذا الحجاب علقه من كذا وكذا من الأمراض.

فهل يُظن أن مثل هذه التميمة مع هذا الاعتقاد تكون من الشرك الأصغر كلا بل هو تأله لغير الله وتوكل على غيره والتجاء إلى سواه وركون إلى أفعال المخلوقين ، وسلب لهم من دينهم. فهل قدر الشيطان على مثل هذه الحيل إلا بوساطة أخيه من شياطين الإنس .

ثم إنه يكتب فيه مع طلاسمه الشيطانية شيئا من القرآن ويتعلقه على غير طهارة ويحدث الحدث الأصغر والأكبر وهو معه أبدا لا يقدسه عن شيء من الأشياء ، تالله ما استهان بكتاب الله أحد من أعدائه استهانة هؤلاء المدعين الإسلام به . ووالله ما نزل القرآن إلا لتلاوته والعمل به وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتصديق خبره والوقوف عند حدوده والإعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه والإيمان به كل من عند ربنا، وهؤلاء قد عطلوا ذلك كله ونبذوه وراء ظهورهم ، ولم يحفظوا إلا رسمه كي يتأكلوا به ويكتسبوا كسائر الأسباب التي يتوصلون بها إلى الحرام لا الحلال . ولو أن ملكا أو أميرا كتب كتابا إلى من هو تحت ولايته أن افعل كذا واترك كذا وأمر من في جهتك بكذا وانههم عن كذا ونحو ذلك فأخذ ذلك الكتاب ولم يقرأه ولم يتدبر أمره ونهيه ولم يبلغه إلى غيره ممن أمر بتبليغه إليه ، بل أخذه وعلقه في عنقه أو عضده ولم يلتفت إلى شيء مما فيه البتة، لو فعل ذلك لعاقبه الملك على ذلك أشد العقوبة ، ولسامه سوء العذاب ؛ فكيف بتنزيل جبار السموات والأرض الذي له المثل الأعلى في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة وإليه يرجع الأمر كله.

ثانيا : الشرك الأصغر في الأقوال

عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال:(كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. قال: لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت. ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل قال ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون . ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه ؟ قلت بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد. ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت بلى يا نبي الله فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا. فقلت يا نبي الله وإنا المؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) [1]فات اللسان كثيرة ، ومن آفاته الشرك بالله تعالى :

[1] – السنن الكبرى للنسائي ج٦/ص٤٢٨/ح١١٣٩٤، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٥/ص٢٣١/ح٢٢٠٦٩ ، سنن الترمذي ج٥/ص١١/ح٢٦١٦ ، وقال :"حسن صحيح"

صور الشرك الأصغر في الأقوال:

الصورة الأولى: الحلف بغير الله

لقد تواتر النهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحلف بغير الله في أحاديث كثيرة منها:

١- ما ماجاء في صحيح البخاري (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله فكانت قريش تحلف بآبائها فقال لا تحلفوا بآبائكم) [١].

٢- وفي الصحيحين (قال عليه الصلاة والسلام عندما أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأبيه فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) [٢].

٣- والإجماع منعقد على أنه لايجوز الحلف بغير الله تعالى.

ماهو الدليل على أن الحلف بغير الله من الشرك؟

وأما الدليل على كون الحلف بغير الله شرك فمن السنة ، ومن المعقول:

أما السنة ، فقد جاء التصريح به في قوله صلى الله عليه وسلم (عن سعد بن عبيدة قال كنت عند بن عمر فحلف رجل بالكعبة فقال بن عمر ويحك لا تفعل فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حلف بغير الله فقد أشرك) [٣] ، وفي لفظ :(من حلف بشيء دون الله فقد أشرك) [٤]

.

---

[١] – من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، صحيح البخاري ج٣/ص١٣٩٤/ح٣٦٢٤/باب أيام الجاهلية

[٢] – من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، صحيح البخاري ج٦/ص٢٤٤٩/ح٦٢٧٠/باب لا تحلفوا بآبائكم ، صحيح مسلم ج٣/ص١٢٦٧/ح١٦٤٦/ باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى

[٣] – من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، صحيح ابن حبان ج١٠/ص١٩٩/ ح٤٣٥٨، سنن أبي داود ج٣/ص٢٢٣/ح٣٢٥١ ، وسكت عنه ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٢/ص٦٩/ح٥٣٧٥ ، سنن البيهقي الكبرى ج١٠/ص٢٩/ح١٩٦١٥

[٤] – الأحاديث المختارة ج١/ص٣١٣/ح٢٠٥ ، وقال :"إسناده صحيح" ، المستدرك على الصحيحين ج١/ص١١٧/ح١٦٨

وأما المعقول:

ولأن الحلف بغير الله فيه غلو في تعظيم غير الله ، وقد ينتهي ذلك التعظيم بمن حلف بغير الله إلى الشرك الأكبر.

بل إن بعض أهل العلم يعتبر من حلف بغير الله كافركفرا مخرجا عن الملة واستدلوا على ذلك بما يلي:

١- ما جاء في الصحيحين (من حلف منكم فقال في حلفه باللات فليقل لا إله إلا الله) [١] .

٢- وجاء أيضا في البخاري (من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال) [٢]

وجه الاستدلال : قالوا لو لم يكن الحلف بغير الله كفرا ينقل عن الملة لما أمره النبي صلى الله عليه وسلم بتجديد إسلامه بقول لا إله إلا الله.

ولكن الجمهور قالوا لا يكفر كفرا ينقله عن الملة لكنه من الشرك الأصغر كما نص على ذلك ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وأما كونه أمر من حلف باللات والعزى أن يقول لا إله إلا الله فلأن هذا كفارة له مع استغفاره.

اليمين الغموس أهون شأنا من الحلف بغير الله!

ثبت عن بن مسعود رضي الله عنه ،أنه قال:(لأن أحلف بالله كاذبا أهون من أن أحلف يغير الله صادقا) [٣]

---

[١] – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج٦/ص٢٤٥٠/ ح٦٢٧٤/باب لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت ،صحيح مسلم ج٣/ص١٢٦٧/ح١٦٤٧/ باب من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله

[٢] – من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج٦/ص٢٤٥١/ح٦٢٧٦/باب من حلف بملة سوى ملة الإسلام

[٣] – مصنف ابن أبي شيبة ج٣/ص٧٩/ح١٢٢٨١، مصنف عبد الرزاق ج٨/ص٤٦٩/ح ١٥٩٢٩، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ج٣/ص٣٧٢:"رواه الطبراني موقوفا ورواته رواة الصحيح" وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٤/ص١٧٧:"رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح"

فكيف يقول هذا الصحابي الجليل هذا؟ وهو يعلم بأن الحلف بالله كاذبا ذنب عظيم ولعظمه سمي باليمين الغموس ؛ لأنها تغمس صاحبها في النار ، والتي جاء فيها من الوعيد لشديد ما يجعل كل مسلم يخاف منها أشد الخوف ومن ذلك:

١- فقد قال عليه الصلاة والسلام (الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس) [١] .

٢- وقال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله قال وإن قضيبا من أراك) [٢] .

٣- وقال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح البخاري(من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة لقي الله وهو عليه غضبان ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله جل ذكره ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧ ﴾) [٣] .

٤- وقال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح البخاري ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وذكر منهم رجلا حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب) [٤]

---

[١] – من حديث عبدالله بن عمرو صحيح البخاري ج٦/ص٢٤٥٧/ح٦٢٩٨ /باب اليمين الغموس

[٢] – من حديث أبي أمامة رضي الله عنه صحيح مسلم ج١/ص١٢٢/ح ١٣٧/باب وعيد من اقتطع حق المسلم بيمين فاجرة بالنار

[٣] – من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ،صحيح البخاري ج٦/ص٢٧١٠/ح٧٠٠٧/ باب قول الله تعالى(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)

[٤] – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، صحيح البخاري ج٢/ص٨٣٤/ح٢٢٤٠/ باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه

ومع كل هذا الوعيد فإن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يقول: لأن أحلف بالله كاذبا أهون من أن أحلف بغير الله صادقا .

أما لماذا فهو من فقهه العظيم بدين الله ، لأن اليمين الغموس –رغم أنها من كبائر الذنوب – لو مات صاحبها وهولم يتب فيكون تحت المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه ، أما الشرك فهو الذنب الذي لايغفر والشرك لايغفر لأحد قط إذا مات صاحبه وهو لم يتب منه ،حتى ولو كان هذا الشرك شركا أصغر والدليل على ذلك هو عموم الآية:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ من الآية ٤٨ سورة النساء، ولكن صاحب الشرك الأصغر لايخلد في النار بل يعاقب عليهذا الشرك ثم بعد ذلك يدخل الجنة ، وهذا هو أحد الفوارق بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر ، فالأكبر صاحبه مخلد في النار لايخرج منها أبدا ، هذا إذا مات وهو لم يتب منه ، أما من تاب فإن التوبة تجب ماقبلها من الذنوب حتى لو كان الذنب شركا أكبر

هل يمكن أن يكون الحلف بغير الله شركا أكبر؟

نعم .إذا اعتقد الحالف أن للمحلوف به منزلة مساوية لله في التعظيم والمنزلة ، وهذا موجود كثيرا كالذي يفعله عباد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الإيمان صادقا أو كاذبا فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته ونحو ذلك لم يقدم على اليمين به إن كان كاذبا فهذا شرك أكبر بلا ريب ؛ لأن المحلوف به عنده أخوف وأجل وأعظم من الله. وهذا لم يبلغ إليه شرك عباد الأصنام ؛ لأن جهد اليمين[1] عند عباد الأصنام –في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم – أن يحلف بالله كما قال تعالى حكاية عنهم:﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَا ﴾ من الآية ١٠٩ الأنعام ، فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ أو بحياته أو تربته فهو أكبر شركا منهم .

أما الحالف بغير الله الذي لا يعتقد أن لغير الله تعالى من العظمة ما يماثل عظمة الله فهو مشرك شركا أصغر سواء كان هذا المحلوف به معظما من البشر أم غير معظم ، وعلى هذا فلا يجوز الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا برئيس ولا وزير ولا بجبريل وميكائيل ، ولا بغيرهم.

[1] – بمعنى أن أحدهم إذا أراد أن يجتهد في يمينه من أجل أن يصدق

ويدخل في ذلك: قولهم والكعبة

وقد تقدم حديث ابن عمر رضي الله عنهما (عن سعد بن عبيدة قال كنت عند بن عمر فحلف رجل بالكعبة فقال بن عمر ويحك لا تفعل فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حلف بغير الله فقد أشرك) [1]

أو الحلف بالأمانة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :(ليس منا من حلف بالأمانة) [2] وكذلك قول بعضهم : وحياتك ، وحياتي

الصورة الثانية من صور الشرك الأصغر في الأقوال: التسوية بين الخالق والمخلوق بواو العطف

مثل قول بعضهم و أنا بالله وبك و مالي إلا الله وأنت و أنا متوكل على الله وعليك

وقولهم لولاالله وأنت لولا كلبة فلان لأتانا اللصوص ، و لولا أنت لم يكن كذا وكذا ، وهذا كله من الشرك الأصغر ، لأنه قد سوى بين الله وبين غيره بواو العطف ، والواجب أن يأتي بثم فيقول أنا متوكل على الله ثم عليك ، وأنا بالله ثم بك ، ولولا الله ثم أنت لكان كذا ، وهكذا

وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى:﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ من الآية ٢٢ البقرة ، (بأنه الشرك الخفي أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن يقول:

والله وحياتك يا فلانة ، وحياتي ويقول لولا كلبه هذا لاتانا اللصوص ولولا البط في الدار لاتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلان فان هذا كله به شرك) [1]

---

[1] – سبق تخريجه

[2] – من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه ، صحيح ابن حبان ج١٠/ص٢٠٥ /ح٤٣٦٣، سنن أبي داود ج٣/ص٢٢٣/ح٣٢٥٣ ، وسكت عنه ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٥/ص٣٥٢/ح٢٣٠٣٠ ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ج٣/ص٥٩:"رواه أحمد بإسناد صحيح " ، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج٤/ص٣٣١/ح٧٨١٦، وقال:" صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ، ووافقه الذهبي في التلخيص .

ويدخل في هذه الصورة قولهم : ما شاء الله وشئت و هذا من الله ومنا

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال له : ما شاء الله وشئت :(أجعلتنى له ندا قل : ما شاء الله وحده) [٢] ، (وعن عائشة رضي الله عنها أن يهوديا رأى في المنام نعم القوم أمة محمد لولا أنهم يقولون ماشاء الله وشاء محمد فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد قولوا ما شاء الله وحده) [٣]

وعن قتيلة بنت صيفي امرأة من جهينة قالت:(إن حبرا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا ما شاء الله ثم شئت وقولوا ورب الكعبة) [٤]

لماذا نهى عن ذلك ؟

لأنه إذا عطف بينهما بالواو فقال ماشاء الله وشاء فلان فقد قارن بين مشيئة الله ومشيئة العبد ، أما إذا عطف بثم فقال ماشاء الله ثم شاء فلان ، فقد جعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله كما قال تعالى:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ من الآية ٣٠ الإنسان

---

[١] – انظر تفسير ابن أبي حاتم ج١/ص٦٢

[٢] – من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج١/ص٢١٤/ح١٨٣٩

[٣] – قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧/ص٢٠٩:"رواه أبو يعلى ورجاله ثقات" ، ومن طريق حذيفة بن اليمان أخرجه ابن حبان في صحيحه ج١٣/ص٣٢/ح٥٧٢٥ ، والنسائي في السنن الكبرى ج٦/ص٢٤٤/ح١٠٨٢٠، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٥/ص٣٩٣/ح٢٣٣٨٧

[٤] – المستدرك على الصحيحين ج٤/ص٣٣١ /ح٧٨١٥ ،قال :"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي في التلخيص ، السنن الكبرى للنسائي ج٣/ص١٢٤/ح٤٧١٤،

ماهي كفارة الشرك الأصغر؟

الشرك الأصغر قد يخفى على كثير من الناس وهو كما قال ابن عباس رضي الله عنهما أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، فهل لهذا الشرك الخفي من كفارة لمن يصدر منه هذا الكلام من غير قصد أو أنه قد اعتاد عليه ؟

الواجب على من يقع في مثل ذلك أن يتوب إلى الله منه، ويجتهد في تركه وأن يعود نفسه على نبذه ، ويحذر كل من يعرفه من الوقوع فيه ، وأن يبادر بالإنكار على من يسمعه منه .

أما الكفارة ، فقد جاء في ذلك أحاديث منها:

(عن قيس بن أبي حازم قال سمعت أبا بكر الصديق يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من الشرك ما هو أخفى من دبيب النمل على الصفا قال يقول أبو بكر يا رسول الله وكيف المنجا والخروج من ذلك قال ألا أخبرك بشيء إذا قلته برئت من قليله وكثيره. قل اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم) [1]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال :(خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس اتقوا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل فقال من شاء الله أن يقول وكيف نتقيه يا رسول الله وهو أخفى من دبيب النمل قال قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا تعلمه ونستغفرك لمالا نعلم) [2]

وعن أبي بكرالصديق رضي الله عنه قال يا رسول الله علمني شيئا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي قالك(قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم) [3] .

---

[1] – الأحاديث المختارة ج١/ص١٥٠ وقال " إسناده ضعيف"

[2] – مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٤/ص٤٠٣/ح١٩٦٢٢ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج١٠/ص٢٢٤:"رجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ووثقه ابن حبان" ، المعجم الأوسط للطبراني ج٤/ص١٠/خ٣٤٧٩،

[3] – سنن الترمذي ج٥/ص٥٤٢/ ح٣٥٢٩، وقال: " حسن غريب" ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج١/ص١٤/ح٨١

الإخلاص والطريق إليه

مقدمة

التوحيد هو إخلاص العبادة لله وحده ، والإخلاص شرط في صحة أداء كل عبادة كما قال الله تعالى :﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الآية ٥ البينة ، وقال سبحانه :"﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ من الآيتين ٢-٣ الزمر.

وقال تعالى:﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ ﴾ الآية ١١الزمر . وقال تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ ﴾ الآية ١٤الزمر. وقال سبحانه:﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣ ﴾ الآيتان ١٦٢، ١٦٣ الأنعام

وقال تعالى :﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ ﴾ من الآية ٣٧ الحج

وجاء في الصحيحين (أن رجلا أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله) [١] .

وأخبر عن أول ثلاثة تسعر بهم النار : قارىء القرآن والمجاهد والمتصدق بماله الذين فعلوا ذلك ليقال : فلان قارىء فلان شجاع فلان متصدق ولم تكن أعمالهم خالصة لله [٢]

---

[١] – من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج٣/ص١٠٣٤/ ح٢٦٥٥/ باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، صحيح مسلم ج٣/ص١٥١٢/ح١٩٠٤ / باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله

[٢] – صحيح مسلم ج٣/ص١٥١٣/ح١٩٠٥/باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار

وفي صحيح مسلم أن الله تعالى يقول : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) [١] ، وفي لفظ عند ابن خزيمة (فهو للذي أشرك به وأنا منه بريء) [٢]

وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأشار بأصابعه إلى صدره) [٣]

فالإخلاص هو أساس الدين وروح التوحيد والعبادة

ما هو الإخلاص ؟

لقد تنوعت عبارتهم في معنى الإخلاص فقيل: بأن ترك العمل من أجل الناس : شرك والعمل من أجل الناس : رياء . والإخلاص : أن يعافيك الله منهما .

وقيل : الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهدا غير الله ولا مجازيا سواه .

وقيل بأن الإخلاص هو تصفية العمل من كل شوب فلا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس : إما طلب التزين في قلوب الخلق ، وإما طلب مدحهم والهرَبُ من ذمهم ، أو طلب تعظيمهم ، أو طلب أموالهم ، أو خدمتهم ومحبتهم وقضائهم حوائجه ، أو طلب محبتهم له، أو غير ذلك من العلل والشوائب التي تنضوي تحت معنى واحد هو : هو إرادة ما سوى الله بعمله كائنا ما كان .

ويمكن أن نخلص من كل ذلك **بأن الإخلاص هو**: أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله لايريد بذلك سمعة ولا رياسة ولا دنيا ، فيكون العبد مخلصا لله وحده في قصده مخلصا لله في محبته ، في تعظيمه ، في أعماله الظاهره ، والباطنة .

وبعبارة أخرى الإخلاص هو: إفراد الله تعالى بالعبادة باطنا وظاهرا.

---

[١] – صحيح مسلم ج٤/ص٢٢٨٩/ح٢٩٨٥/باب من أشرك في عمله غير الله وفي نسخة باب تحريم الرياء

[٢] –صحيح ابن خزيمة ج٢/ص٦٧/ح٩٣٨

[٣] –من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ،صحيح مسلم ج٤/ص١٩٨٦/ح٢٥٦٤/باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.

كيف الطريق إلى الإخلاص وماهي عقباته ؟

من أعظم الوسائل التي تجلب الإخلاص هو الدعاء ، فادع الله دوما متحينا أوقات الإجابة بأن يرزقك الإخلاص.

ومن أعظم العقبات التي تحول بينك وبين الإخلاص عقبتان

العقبة الأولى: العمل من أجل الناس

قال بن القيم رحمه الله تعالى: إذا حدثتك نفسك بطلب الخلاص من هذه الآفة، فاقبل على الطمع أولا فأذبحه بسكين اليأس مما في أيد الناس،وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع ، والزهد في الثناء والمدح ، سهل عليك الإخلاص ، فأن قلت وما الذي يسهل علي ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح، قلت أما ذبح الطمع فيسهله عليك علمك يقينا أنه ليس من شيء يطمع فيه الا وبيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتى العبد منها شيئا سواه ، وأما الزهد في الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمة ويشين الا الله وحده كما قال ذلك الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم إن مدحي زين وذمي شين فقال(ذلك الله عز وجل) [1] ، فازهد في مدح من لا يزينك مدحه ، وفي ذم من لا يشنيك ذمه ، وارغب في مدح من كل الزين في مدحه ، وكل الشين في ذمه ، ولن يقدر على ذلك الا بالصبر واليقين ، فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر في البحر في غير مركب قال تعالى:﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الآية ٦٠ الروم. وقال تعالى:﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الآية ٢٤ السجدة .

فلا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت [2]

---

[1] – يروى عن البراء بن مالك رضي الله عنه قال بن كثير في تفسيره ج٤/ص٢٠٩:"ذكره الحسن البصري وقتادة مرسلا "

[2] – من كتاب الفوائد لابن القيم ١٤٩/١

العقبة الثانية التي تحول بيننا وبين الإخلاص: إعجاب العبد بنفسه وبعمله الذي يؤديه لله سبحانه .

ولتجاوز تلك العقبة لابد من ثلاثة أمور :

الأمرالأول: أن يشاهد العبد منة الله عليه وفضله وتوفيقه له وأنه بالله لا بنفسه وأنه لو خلي ونفسه لم يكن من فعله الصالح شيء البتة ، فإن النفس جاهلة ظالمة طبعها الكسل وإيثار الشهوات والبطالة ، وهي منبع كل شر ومأوى كل سوء ، وما كان هكذا لم يصدر منه خير ولا هو من شأنه ، فالخير الذي صدر منها : إنما هو من الله وبه لا من العبد ولا به كما قال تعالى :﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ الآية ٢١ النور ، وقال أهل الجنة :﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ من الآية ٤٣ الأعراف . وقال تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم :﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ ﴾ الآية ٧٤ الإسراء . وقال تعالى :﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ الآية ٧ الحجرات .

فكل خير في العبد فهو مجرد فضل الله ومنته وإحسانه ونعمته وهو المحمود عليه .

قال بعضهم : آفة العبد رضاه عن نفسه ومن نظر إلى نفسه باستحسان شيء منها فقد أهلكها ومن لم يتهم نفسه على دوام الأوقات فهو مغرور .

الأمرالثاني: مطالعة العبد لعيوبه وآفاته وتقصيره في كل عمل يؤديه ، وما فيه من حظ النفس ونصيب الشيطان فقل عمل من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وإن قل وللنفس فيه حظ ، سئل النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري عن التفات الرجل في صلاته فقال : (هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد) [1]، فإذا كان هذا التفات طرفه أو لحظه ، فكيف بالتفات قلبه إلى ما سوى الله؟ هذا أعظم نصيب للشيطان من العبودية ، وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه :(لا يجعلن أحدكم للشيطان من نفسه جزءا لا يرى إلا أن حقا عليه أن لا ينصرف إلا عن يمينه أكثر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصرف عن شماله) [2] ، فجعل هذا القدر اليسير النزر حظا ونصيبا للشيطان من صلاة العبد فما الظن بما فوقه؟ وأما حظ النفس من العمل : فلا يعرفه إلا أهل البصائر الصادقون .

الأمرالثالث: أن يستحضر ما يستحقه الرب جل جلاله : من حقوق العبودية وآدابها الظاهرة والباطنة وشروطها ، وأن العبد أضعف وأعجز وأقل من أن يوفيها حقا وأن يرضى بها لربه ، فالعارف لا يرضى بشيء من عمله لربه ولا يرضى نفسه لله طرفة عين ويستحيي من مقابلة الله بعمله /فهو يشعر بشدة حيائه من الله إذ لم ير ذلك العمل صالحا له، مع أنه قد بذل مجهوده فيه ، فيصدق عليه قول الباري سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الآية ٦٠ المؤمنون وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله :(قال النبي صلى الله عليه وسلم : هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف الله عز وجل) [3] وفي لفظ (قالت عائشة هم الذين يشربون الخمر ويسرقون . قال لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات) [4] وفي لفظ قالت عائشة رضي الله عنها: (أهو الرجل يزني

---

[1] – من حديث عائشة رضي الله عنها صحيح البخاري ج١/ص٢٦١/ ح٧١٨/باب الالتفات في الصلاة

[2] – صحيح مسلم ج١/ص٤٩٢/ح٧٠٧ /باب جواز الانصراف من الصلاة عن اليمين والشمال

[3] – من حديث عائشة رضي الله عنها ، المستدرك على الصحيحين ج٢/ص٤٢٧/ح٣٤٨٦ ،وقال :" حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي في التلخيص ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٦/ص١٥٩/ح٢٥٣٠٢

[4] – سنن الترمذي ج٥/ص٣٢٧/ح٣١٧٥

ويسرق ويشرب الخمر؟ قال لا يا بنت أبي بكر أو لا يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق وهو يخاف أن لا يقبل منه) [1] .

فالمؤمن : جمع إحسانا في مخافة وسوء ظن بنفسه . والمغرور : هو الذي يحسن الظن بنفسه مع إساءته.

[1] – مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٦/ص٢٠٥/ح٢٥٧٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

البدعة

الحمد لله الذي شرح صدور أهل السنة فانقادت لاتباعها، وارتاحت لسماعها ، وأمات نفوس أهل الطغيان بالبدعة بعد أن تمادت في نزاعها ، وتغالت في ابتداعها ، وأشهد أن لاإله إلا الله العالم بانقياد الأفئدة وامتناعها والقائل في كتابه العزيز:﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾ الآية ٣ الأعراف ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله القائل (عليكم بسنتيي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) [1]، الذي انخفضت بجهاده كلمة الباطل بعد ارتفاعها ، واتصلت بإرساله أنوار الهدى وظهرت حجتها بعد انقطاعها ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، مادامت السماء في سموها وارتفاعها ، والأرض في امتدادها واتساعها ، وسلم تسليما

أما بعد ايها

إن حديثنا عن أصل كل بلاء وفتنة ، إنه الاستدراك على الله في شرعه ، بأن يأتي من يشرع في الدين مالم يأذن به الله ، وكأنما هو يتهم خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه بأنه قد قصر في تبليغه دين الله وحاشاه ذلك ، وكأنما هو يصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالسذاجة وعدم الفقه ، أو سوء القصد وقلة الرغبة في الخير وحاشاهم أن يكونوا كذلك.

، إنه ذاك الذي يتقرب إلى الله بعمل يخترعه من قبل نفسه أو يقلد فيه غيره بغير دليل من كتاب ولا من سنة وهو يحسب انه يحسن بذلك صنعا.

---

[1] – من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، المستدرك على الصحيحين ج١/ص١٧٤/ح٣٢٩ ، وقال:" هذا حديث صحيح ليس له علة" وقال الذهبي في التلخيص:"صحيح ليس له علة" ، صحيح ابن حبان ج١/ص١٧٨/ح٥

فكل من ابتدع شريعة في دين الله ولو بقصد حسن فإن بدعته هذه مع كونها ضلالة تعتبر طعنا في دين الله ،وتعتبر تكذيبا لله تعالى في قوله:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ من الآية ٣ سورة المائدة .

فهذا المبتدع كأنما يقول بلسان حاله بأن هذا الدين لم يكمل.

فهل تعلمون ضلالا أعظم من الاستدراك على الله في شرعه ، أو القول عليه بلا علم؟ وهل تعلمون نفاقا أخطر من اتهام النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغه ما أنزل إليه من ربه أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فماربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين.

وقبل الحديث عنهم وعن جرائم المبتدعة لابد أن نغرف أولا البدعة ماهي؟ وما أسبابها؟ وما أنواعها؟ وكيف تحصل المتابعة؟ وماهي حجج المبتدعة؟ وكيف يُرد عليها؟

ماهي البدعة ؟

والبدعة في اللغة هي : ابتداء الشيء وصنعه لا على مثال سابق ، فهي تطلق على كل محدث على غير مثال سابق [1] ، وتعريفها في اللغة عام يشمل البدعة في الدين .

أما البدعة في اصطلاح أهل الشرع ، فهي كل عبادة قولية أو فعليه أو عقدية أحدثها الناس بقصد التعبد لله أو غيره، ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة ولا في عمل الخلفاء الأربعة الراشدين .

هل كل بدعة ممنوعة؟

البدعة تكون في العادات والمعاملات ، وتكون في العبادات ، والممنوع من البدع هو ما كان متعلقا بالعبادات ، أما مايستجد في المعاملات فما وافق الشرع فهو عقد شرعي، وما خالفه فهو عقد فاسد ولا يسمى بدعة في الشرع.لأنه ليس من العبادة.

فماكان المقصود من إحداثه التنسك ، والتقرب والتعظيم كسبا للأجر ، أو كان فيه تشبها بأهل الجاهلية فهو بدعة محدثة ممنوعة داخلة في قوله عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين (من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد) [1]

[1] – انظر لسان العرب ج٨/ص٦ ، النهاية في غريب الأثر ج١/ص١٠٦

وما كان المقصود من إحداثه من أجل مصلحة الأمة ، وضبط أمورها كأسبوع المرور ، وتنظيم مواعيد الدراسة ، والاجتماع بالموظفين للعمل ، ونحو ذلك مما لا يفضي به التقرب والعبادة والتعظيم بالأصالة ، فلا يسمى ذلك بدعة في الشرع لأنه ليس من العبادة.

أسباب نشوء البدع

من أهم هذه الأسباب:

١- الجهل بالسنة.

٢- الهوى والتقليد والتعصب.

٣- تأييد بعض الدول لها ، فإن الدولة إذا قامت بتأييد البدع وانتشارها فإنها تنتشر.

٤- ومن أهم الأسباب هو الاستحسان العقلي في مقابلة النص الشرعي ، بل قد حدث ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتم الاعتراض على رسول لله صلى الله عليه وسلم ، يوم ظن من لاعلم عنده ولا بصيرة ، أنه يملك أن يقف من رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف المعلم ، وأن يصحح لرسول الله صلى الله عليه وسلم حكمه ، فيقوم رجل محلوق الرأس غائر العينين مشرف الجبهة ، فيخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم حنين فيقول:(يارسول الله اتق الله واعدل فإنك لم تعدل فقال ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل) [٢]

ثم سار الصحابة المرضي عنهم والتابعون لهم بإحسان يقتفون طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم وسنته فلا يسمعون بنبتة بدعة إلا قطعوها ولا جماعة مبتدعة إلا فرقوها .

(فعن عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه. قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم

---

[١] – من حديث عائشة رضي الله عنها ، صحيح البخاري ج٢/ص٩٥٩/ح٢٥٥٠/ باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، صحيح مسلم ج٣/ص١٣٤٣/ ح١٧١٨/باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور

[٢] – من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج٦/ص٢٥٤٠/ ح٦٥٣٤/باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه

أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا لا. فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعا فقال له أبو موسى يا أبا عبد الرحمن اني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته ولم أر والحمد لله الا خيرا . قال: فما هو؟ فقال ان عشت فستراه قال رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصا فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة فيقول هللوا مائة فيهللون مائة ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائ.ة قال: فماذا قلت لهم قال ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم ان يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم ان لا يضيع من حسناتهم. ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا يا أبا عبد الله حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن ان لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وأنيته لم تكسر ، والذي نفسي بيده إنكم لعلي ملة هي أهدي من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا الا الخير. قال وكم من مريد للخير لن يصيبه. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم. ثم تولى عنهم فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج) [1]

فرضي الله عن ابن مسعود فقد كان ينظر بنور محمد صلى اله عليه وسلم ويصف بفراسة المؤمن .

وسار السلف والتابعون لهم بإحسان على ذلك فكان جهدهم في ذود الأمة عن موارد البدع ، وكان تنفيرهم من البدع وأهلها أشد مايكون التنفير ، فهذا هو إمام دار الهجر مالك بن أنس رحمه الله تعالى ، عندما جاءه رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استوى؟

قال الراوي: فما رأيت مالكا وجد من شيء كموجدته من مقالته وعلاه الرحضاء يعني العرق قال واطرق القوم وجعلوا ينتظرون ما يأتي منه فيه قال

[1] –سنن الدارمي ج١/ص٧٩/ح٢٠٤، مصنف ابن أبي شيبة ج٧/ص٥٥٣/ح٣٧٨٩٠

فسرى عن مالك فقال الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة فإني أخاف أن تكون ضالا وامر به فأخرج [1]

أنواع البدعة

النوع الأول : مايتعلق بالأزمنة

ففي شهر المحرم مثلا أحدثوا بدعا خاصة بها كما عند الرافضة في ضرب أنفسهم بأيديهم أو بالسلاسل في العاشر من شهر محرم في ذكر الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه

وفي الثاني عشر من شهر ربيع الأول بدعة المولد النبوي ، وهم يزعمون بذلك حب رسول الله صلى الله عليه وسلم / فلو رأيتهم في هذا الاحتفال ، ورأيت مايحدث فيه من المنكرات ، والاختلاط ، وغير ذلك مما لايخطر لك على بال ، لعلمت أنهم عن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد مما بين المشرق والمغرب

وفي شهر رجب أنواع من البدع يعتقدها كثير من الناس ، كإحياء ليلة السابع والعشري لاعتقادهم أن ذلك يوافق ليلة الإسراء والمعراج.

وفي شعبان يقومون بإحياء ليلة النصف من شعبان ، ويحتفلون بليلة الأربعين من وفاة الميت ،ومن ذلك الاحتفال بعيد الأم ،والعيد الوطني ، لما في ذلك من التشبه بالكفرة من اليهود والنصارى ، وغيرهم .

النوع الثاني: مايتعلق بالهيئات:

كما في الاجتماع على الذكر على نحو معين ، كما لو اجتمعوا على شكل حلقات فيقول أحدهم سبحان الله ويرددون خلفه ، فالتسبيح في أصله مشروع وهو مطلوب ، لأن السنة جاءت بذلك وأمرت به ، ولكن الاعتراض هو على تلك الهيئة التي يُفعل بها التسبيح ؛لأنها لم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته رضوان الله عليهم .

---

[1] – انظر اعتقاد أهل السنة للالكائي ج٣٩٨/ص٣

النوع الثالث: البدع الشركية ووسائل الشرك

كالاعتناء بالقبور وتشييدها ،وقراءة القرآن للأموات على القبور ، أو بناء القباب على القبور، وأعظم من ذلك كله بناء المساجد عليها ، رغم النهي الصريح والتحذير الشديد عن مثل ذلك في أحاديث قد بلغت حد التواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ما معنى المتابعة؟

المتابعة هي النصف الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام ؛ لأن الإسلام مشروط بالشهادتين ، فشهادة لاإله إلا الله هي ركن الإخلاص ، وهي تعني إخلاص جميع نواع العبادة لله وحده.

والشهادة بأن محمدا رسول الله هي ركن المتابعة. ومعناها: أن يطاع فلا يعصى، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الصحيحين (إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ماستطعتم ، ومانهيتكم عنه فدعوه) ، وهذا لفظ مسلم [١] وفي لفظ البخاري(فاجتنبوه) [٢]

وهو قد نهانا عن محدثات الأمور فقال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم:(وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) [٣] وفي لفظ في صحيح بن خزيمة والنسائي (وكل ضلالة في النار) [٤] ، وفي لفظ عند ابن حبان من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ، (إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) [٥] .

---

[١] – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، صحيح مسلم ج٢/ص٩٧٥/ ح١٣٣٧/باب فرض الحج مرة في العمر

[٢] –صحيح البخاري ج٦/ص٢٦٥٨/ح٦٨٥٨/ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم.

[٣] – من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه ، صحيح مسلم ج٢/ص٥٩٢/ح٨٦٧/ باب تخفيف الصلاة والخطبة

[٤] –صحيح ابن خزيمة ج٣/ص١٤٣/ح١٧٨٥، السنن الكبرى للنسائي ج٣/ص٤٤٩/ح٥٨٩٢

[٥] – من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، المستدرك على الصحيحين ج١/ص١٧٤/ح٣٢٩ ، وقال:" هذا حديث صحيح ليس له علة" وقال الذهبي في التلخيص:"صحيح ليس له علة" ، صحيح ابن حبان ج١/ص١٧٨/ح٥

ومعنى الشهادة بأنه رسول الله أي أن لانعبد الله إلا بماشرعه ، وإلا فإن الدعوى تكون كاذبة وعمل صاحبها مردود عليه ، وقد قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ الآية ٣١ آل عمران .

كيف تتحقق المتابعة ؟

تتحقق بامتثال الشهادة منا بأن محمدا هو رسول الله ، وهذا لايكون إلا بموافقة الشريعة في أمور ستة:

الأمرالأول: موافقة الشريعة في السبب

فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعيا فهي بدعة مردودة على صاحبها ، ومثال ذلك (من يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتهجد عبادة ، ولكن لما قرنه بهذا السبب كان بدعة ؛ لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعا ، فأولا: لم يثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج به في هذه الليلة ، ثم لو ثبت ذلك، فليس في ذلك حجة لإحياء هذه الليلة ، ويقال لمن يفعل ذلك " من أمركم بهذا ؟ من سن لكم هذا؟

ويدخل في ذلك تخصيص ليلة سبع وعشرين من رمضان بعمرة نعم دل الدليل على أن عمرة في رمضان تعدل حجة مع رسول الله صلى الله عليه وسالم ، ونعم دل الدليل على أن ليلة القدر تكون أرجى ليلة سبع وعشرين ، ولكن أين الدليل على تخصيص هذه الليلة بعمرة ؟

الأمر الثاني:موافقة الشريعة في جنس العبادة

فلو ضحى المضحي بفرس فلا يصح لأنه قد خالف الشريعة في الجنس ، فإن الأضاحي لاتكون إلا من بهيمة الأنعام ، الإبل والبقر والغنم.

الأمر الثالث: موافقة الشريعة في القدْر

فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة سادسة غير الصلوات الخمس ، أو أراد أن يجعل الظهر خمسا بدلا من أربع لكان هذا بدعة لمخالفته للشرع في القدر.

الأمر الرابع: موافقة الشريعة في الكيفية

، فلو أن رجلا توضأ فبدأ بغسل رجليه ثم مسح رأسه وغسل يديه ثم وجهه ، فنقول وضوءه باطل لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

الأمر الخامس: موافقة الشرع في الزمان

،فلو أن رجلا ضحى في أول أيام ذي الحجة فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان ، ويدخل في ذلك من يذبح في رمضان تقربا إلى الله فهذه بدعة لكن لو ذبح ومراده اللحم فلا شيء في ذلك.

الأمرالسادس: موافقة الشرع في المكان.

فلو أن رجلا اعتكف في غير مسجد فإن اعتكافه لا يصح ، لأن الاعتكاف لايكون إلا في المساجد.

شروط صلاحية العبادة

العبادة لاتكون عملا صالحا إلا بشرطين ١- الإخلاص وقد تقدم الحديث عنه ٢- والمتابعة ، وهي لاتتحقق إلا بهذه الأمور الستة ، وهي موافقة الشرع في السبب والجنس والقدر والكيفية والزمان والمكان .

ماهي شبهات المبتدعة؟ وكيف يجاب عنها ؟

الشبهة الأولى

قالوا بأن الصحابة رضوان الله عليهم ابتدعوا أشياء لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثل جمع القرآن ، ومثل إحداث الدواوين ، وبعض الأنظمة التي لم تكن معروفة من قبل .

والجواب عن ذلك أن يقال لهم:

أما **جمع القرآن** فقد كان واجبا عليهم ؛ لأنه لم يكن بالإمكان أن يجمع في حياته صلى الله عليه وسلم ، فالوحي لم ينقطع إلا بموته صلى الله عليه وسلم .

وكذلك فإن الصحابة عندهم أدلة استنبطوا منها وجوب جمعه ، ومن ذلك قوله سبحانه:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ الآية ٢ البقرة ، والكتاب في اللغة هو المجموع . فكيف يسمى كتابا وهو لم يجمع بعد؟

وكذلك ماثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو) [1] ، ولا يمكن السفر به إلا إذا كان مجموعا ، فاستشف الصحابة من هذه الأدلة وغيرها وجوب جمع المصحف ،

[1] – صحيح مسلم ج٣/ص١٤٩٠/ح ١٨٦٩/باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم

وأيضا يقال لهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ) [1] ، فهو قد أمر في هذا الحديث باتباع ماسنه الخلفاء الراشدون ، يل إنه جعله سنة يقتدى بها حيث قد قرنها بسنته وسوى بينها في الحكم فقال عضوا عليها بالنواجذ ، ففعلهم إذا يكون من السنة مالم يعارضه كتاب أو سنة ، وليس في الكتاب والسنة مايعارض جمع القرآن.

وأما إحداثهم للأنظمة والدواوين التي لم تكن على عهده صلى الله عليه وسلم

فيقال لهم إن هذه الأمور تتعلق بالمعاملات ، والأصل في المعاملات الإباحة ، أما البدع فإنها تتعلق بالعبادات والعبادات توقيفية ، أي ليس لأحد أن يزيد عليها أو ينقص ، فالأصل فيها المنع.

فإن البدعة لاتسمى بدعة إلا إذا كانت في الأمور التعبدية ، أما المعاملات والأفعال والأعيان فالأصل فيها الإباحة والحل حتى يقوم دليل المنع.

الشبهة الثانية

بأن هناك أشياء مبتدعة قبلها المسلمون وعملوا بها وهي لم تكن معروفة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمدارس ، وتصنيف الكتب ، وما أشبه ذلك وهذه البدعة استحسنها المسلمون وعملوا بها ورأوا أنها من خيار العمل.

ويجاب عن ذلك بأن يقال: يأن بناء المدارس ، وتصنيف الكتب ليس من البدعة في شيء ، بل هذا وسيلة إلى أمر مشروع ، والوسائل تختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة.

فاعترضوا بقولهم :

بأن ما ستحدث من أمور الدين التي يقصد بها التقرب إلى الله هي من هذا الباب ؛ لأن الغاية منها غاية مشروعة .

---

[1] – من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، المستدرك على الصحيحين ج١/ص١٧٤/ح٣٢٩ ، وقال:" هذا حديث صحيح ليس له علة" وقال الذهبي في التلخيص:"صحيح ليس له علة" ، صحيح ابن حبان ج١/ص١٧٨/ح٥

فيجاب عن ذلك بأن يقال :

إن القواعد المقررة بأن الوسائل لها أحكام المقاصد ، فوسائل المشروع مشروعة إذا لم تكن الوسيلة محرمة ، فإذا كانت الوسيلة محرمة فلا تكون مشروعة حتى لو كان المراد منها مشروعا، ومثال ذلك البدعة فهي وسيلة غير مشروعة من أجل غاية مشروعة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قرر بأن كل بدعة ضلالة ، فلا يصح أن تكون البدعة وسيلة صحيحة لغاية مشروعة.

فوسائل غير المشروع غير مشروعة حتى لو كانت الوسيلة مشروعة، ووسائل المحرم محرمة حتى لو كانت وسيلة المحرم خيرا فإنها تكون محرمة كمن يسرق المال من شخص لأجل أن يتصدق به ، أو أن يعتدي على الذمي أو المعاهد من أجل الانتقام من دولته المعادية للمسلمين ، فالغاية صحيحة من تلك الأفعال غاية صحيحة،ولكن الوسيلة خطأ.

ومما يدل على ذلك: قوله تعالى:﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ من الآية ١٠٨الأنعام

وجه الاستدلال من الآية : أن سب آلهة الكفار واجب أو مشروع، ولكن لما ترتب عليه أنهم سيسبون الله إذا سببت آلهتهم منع سب آلهتهم رغم استحقاقها لذلك.

وقد تقرر عند أهل العلم منع بيع العنب لمن يستخدمه في صناعة الخمر ، وكذا بيع السلاح في حال الفتنة، وإن كان الأصل الإباحة في بيع مثل ذلك .

فنخلص من ذلك كله بأن وسيلة الشر محرمة حتى لوكانت الوسيلة خيرا ، ووسيلة الخير جائزة إلاإذا كانت الوسيلة شرا فهي ممنوعة ، فإن الشر لايكون وسيلة للخير حتى لو قصد به الخير.

الشبهة الثالثة

قالوا : بأن عمر رضي الله عنه قال نعمة البدعة هذه عندما اجتمعوا على إمام واحد في صلاة التراويح في رمضان ، فدل على أن البدعة ليست محرمة إذا كان القصد منها التقرب لله .

ويجاب عن ذلك من وجوه :

الوجـه الأول : بأنـه لايجـوز الاعتـراض علـى قـول رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلك بقـول أحـد مـن الصـحابة كائنـا من كـان حتى لوكـان أبو بكـر الصـديق أو عمـر رضـي الله عـنهم أجمعين ، ولـذا كـان ابـن عباس رضي الله عنه يقول عندما أوجب المتعة بالعمرة إلى الحج ، وكان أبو بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما يمنعان من ذلك ، كان يقول توشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر ، فإذا كان عمر رضي الله عنه قال نعم البدعة هذه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كما في صحيح مسلم (كل بدعة ضلالة) [1] فلماذا تتركون هذا الكلام المحكم البين وتذهبون إلى المتشابه.

الوجه الثاني: أن يقال لهم بأن عمر رضي الله تعالى عنه وهو الوقاف عند حدود الله ، لايمكن أن يخالف كلام سيد البشر فيقول نعمت البدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل بدعة ضلالة ، فهل يُتصور أن يكون قصد عمر رضي الله عنه هو البدعة التي أرادها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبدا هذا لايكون .

فيقول قائلهم : إذا على ماذا نحمل هذا القول؟

فيقال لهم بأن قول عمر رضي الله تعالى عنه نعمت البدعة هذه يقصد بذلك من حيث اللغة ، فيكون المعنى هو نعمت الطريقة هذه، والدليل على ذلك أن هذا الذي فعله الصحابة باجتماعهم على إمام واحد هو السنة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو ثابت في الصحيح صلى بهم التروايح ثلاثة ايام جماعة ثم لم يخرج في اليوم الرابع خوفا من أن تفرض عليهم صلاة التراويح ، فلما أعيد إحياء هذه السنة قال عمر رضي الله عنه هذا القول .

فيقول قائلهم : أولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء) [2] ، والبدعة سنة حسنة.

فيجاب عن ذلك من وجوه:

---

[1] – سبق تخريجه

[2] – من حديث المنذر بن جرير عن أبيه صحيح مسلم ج٢/ص٧٠٤/ح١٠١٧/ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار

الأول : بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سن في الإسلام) والبدع ليست من الإسلام.

الثاني: أنه قال من سن في الإسلام سنة حسنة ، والبدعة ليست بسنة حسنة ، وفرق بين السن والتبديع.

الثالث: بأن السن هنا هو سن العمل تنفيذا وليس سن العمل تشريعا، بدليل أن هذا الحديث له سبب ، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب وحث على الصدقة ، فقام أحد الصحابة ، وبادر بالصدقة فتبعه الآخرون فصار معنى (من سن في الإسلام سنة حسنة) أي من عمل بها تنفيذا لاتشريعا لأن التشريع ممنوع فكل بدعة ضلالة.

الرابع: أن معنى قوله من سن سنة حسنة أي من أحيا سنة كانت موجودة فعدمت فأحياها ، لأن الصدقة أمر مشروع وهي سنة ، وهذا الرجل قد أحياها بفعله فتبعه الآخرون .

الوجه الثالث: بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (وكل بدعة ضلالة) [1]

فقوله كل بدعة كلية شاملة ، مسورة بأقوى أدوات الشمول والعموم (كل) والذي نطق بهذه الكلية صلوات الله وسلامه عليه يعلم مدلول هذا اللفظ وهو أفصح الخلق ، وقد صدَّر هذا القول منه عن كمال نصح للأمة ، وإذا اجتمع في الكلام كمال النصح والإرادة وكمال البيان والفصاحة ، وكمال العلم والمعرفة – دل ذلك على أن الكلام يراد به مايدل عليه من معنى ، أفبعد هذه الكلية يصح أن نقسم البدعة إلى أقسام ثلاثة أو أكثر أو أقل ، كلا وربي ، فالبدعة قسم واحد هو الضلالة ؛لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصب هذا السيف المصلت بقوله(كل بدعة ضلالة) ، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

فإذا قال بعضهم بأن هذه بدعة حسنة ، فإما أن لاتكون بدعة أصلا ، وإما أن تكون بدعة فهي إذا بدعة سيئة ولا يمكن أن تكون هناك بدعة حسنة. كيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (كل بدعة ضلالة) ، فلا يمكن لأحد بيده مثل هذا السيف الصارم أن يقابله أحد ببدعة يقول إنها حسنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (كل بدعة ضلالة) .

---

[1] – سبق تخريجه

ثلاث قواعد يُردُّ بها على كل مبتدع وتحجه بها فلا يحير جوابا:

القاعدة الأولى: أن الأصل في العبادات الحضر والمنع حتى يقوم الدليل على المشروعية وهذا الأصل ينبني على أدلة منها:

١- قوله تعالى:﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ من الآية ٢١ الشورى.

٢- قوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين (من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد) [١] وفي رواية لمسلم أخرجها البخاري تعليقا مجزوما به(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) [٢] ومعنى أحدث: أي أتى بشيء جديد ، في أمرنا: أي في ديننا ، ماليس منه: أي باعتبار الشرع ، ورد: بمعنى مردود

---

[١] – من حديث عائشة رضي الله عنها ، صحيح البخاري ج٢/ص٩٥٩/ح٢٥٥٠/ باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، صحيح مسلم ج٣/ص١٣٤٣/ ح١٧١٨/باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور

[٢] – من حديث عائشة رضي الله عنها ، صحيح مسلم ج٣/ص١٣٤٣/ ح١٧١٨، صحيح البخاري ج٢/ص٧٥٣/ باب النجش ومن قال لا يجوز ذلك البيع ، وقال بن أبي أوفى الناجش آكل ربا خائن وهو خداع باطل لا يحل، قال النبي صلى الله عليه وسلم الخديعة في النار ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ،

ففي هذا الحديث يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بجملة شرطية أن من أحدث في دين الله ماليس منه فهو رد مردود على صاحبه ، حتى إن كان قد أحدثه عن حسن نية فلا يقبل منه ، لأن الله لايقبل من الدين إلا ماشرع.

فمن زعم أن شيئا عبادة فيقال له هات الدليل على أن هذه عبادة وإلا فقولك مردود .

ومن جعل يسبح ألف مرة ويلتزم بذلك ويجعله في الصباح مثلا ، فهذا العمل بدعة مردود على صاحبه ، فإن قال كيف تنكرون أن أقول سبحان الله ، فنقول له إننا لاننكر عليك سبحان الله بل ننكر عليك أن تأتي بها على هذه الصفة التي لم ترد.

القاعدة الثانية:

أن يقال للمبتدع ، هذا الذي تفعله هل فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فسيقول لك لا. ، فتقول له: هل فعله صحابته من بعده؟ فسيقول لك لا . ، فقل له ، والله لو كان فعلك هذا خيرا ، لفعله خير هذه الأمه وهم رسول الله صلى اله عليه وسلم وصحابته من بعده.

القاعدة الثالثة:

أن يقال للمبتدع ، إن كان للرسول صلى الله عليه وسلم سنة فعليه فإن له سنة تركية ، فإذا اتبعته في فعله واستنيت بسنته في ذلك ، فإنه يجب عليك أيضا ان تقتدي به في تركه ، فإذا ترك شيئا فاتركه .

ثم تقول له : رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك فهل تفعله؟ فسيقول لك نعم أفعل. ، فتقول له : رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك ذلك فهل تتركه؟ فإن قال: لا قلت له هذا تناقض.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١-٢
التوحيد	٣-١٢
الشرك الأكبر	١٣-٢٣
أنواع الاستعاذة	٢٤-٢٥
أنواع الاستغاثة	٢٦
أنواع الاستعانة	٢٧
شرك القلوب	٢٨
الإنابة ، والتوبة ، والخشوع	٢٩
المحبة	٣٠-٣١
متى تكون المحبة شركا أكبر؟	٣٢
الخوف والخشية والرهبة	٣٣-٣٤

متى يكون الخوف شركا أكبر؟	٣٤
الخوف المحمود ، والخوف المذموم	٣٥
الرجاء والرغبة	٣٦
متى يكون الرجاء شركا أكبر؟	٣٦
الرجاء المحمود والرجاء المذموم	٣٧
أقسام التوكل	٣٨-٣٧
متى يكون التوكل شركا أكبر	٤٠
ما ينافي التوكل	٤١
ما معنى قوله (لاعدوى)؟	٤٣-٤١

ماهي الطيرة؟	٤٣-٤٥
مامعنى قوله (الشؤم في ثلاث)؟	٤٦-٤٩
ماهو الفرق بين الفأل والطيرة؟	٤٩-٥٠
هل يمكن أن يكون الفأل من الطيرة؟	٥١-٥٣
كفارة الطيرة	٥٣
ماحكم الذهاب إلى السحرة	٥٤-٥٥
أقسام النشرة	٥٦
النشرة الممنوعة	٥٦-٥٩
النشرة المشروعة	٥٩-٦١
كيف نتقي السحر	٦٢-٦٣
خاتمة في باب التوكل	٦٤-٦٥
الكفر بالطاغوت	٦٦
أقسام الطاغوت	٦٧-٧٠
كيف يُكفر بالطاغوت؟	٧١-٧٦
هل يمكن أن تجتمع محبة الكافر مع البراءة منه؟	٧٧-٧٨
الشرك الأصغر	٧٩
ماهو الشرك الأصغر؟	٧٩
أقسام الشرك الأصغر	٨٠
القسم الأول: الشرك الأصغر في الأفعال(الشرك الخفي)	٨١

ماهو الرياء؟	٨١
مالفرق بين الرياء والسمعة؟	٨٢
متى يكون الرياء شركا أكبر؟ ومتى يكون شركا أصغر	٨٣-٨٤
من صور الرياء	٨٥-٨٦
خاتمة في الرياء	٩٠-٩١
القسم الثاني : الشرك الأصغر في الأفعال(الشرك الظاهر)	٩٢-٩٤
الشرك الأصغر في الأقوال وصوره	٩٥-١٠١
كفارة الشرك الأصغر	١٠٢
الإخلاص والطريق إليه	١٠٣
ماهو الإخلاص	١٠٤
العقبات التي تحول بيننا وبين الإخلاص	١٠٥-١٠٨
البدعة	١٠٩
ماهي البدعة ؟	١١٠
هل كل بدعة ممنوعة؟	١١٠
أسباب نشوء البدع	١١١
أنواع البدع	١١٣
مامعنى المتابعة؟	١١٤
كيف تتحقق المتابعة	١١٥-١١٦

شبهات المبتدعة	١١٧
الشبهة الأولى	١١٧-١١٨
الشبهة الثانية	١١٨-١١٩
الشبهة الثالثة	١١٩-١٢١
ثلاث قواعد في الرد على المبتدعة	١٢٢-١٢٣
فهرس الموضوعات	١٢٥-١٢٨